حكاية عنايات المحمودي

اقتلني يا رب بالموت و لا تقتلني بالملل

الكتاب : حكاية عنايات المحمودي (اقتلني يا رب بالموت ولا تقتلني بالملل)

الكاتب : أحمد دسوقي مرسي

تصميم الغلاف : محمد محسن

تنسيق داخلي : يوسف الفرماوي

مراجعة لغوية : سامح سرور

الطبعة : الأولى ٢٠٢٠

رقم الإيداع: 2019/28797

الترقيم الدولي :978-977-6783-26-3

الناشر : السعيد للنشر والتوزيع

المدير العام : لمياء السعيد

برج الهادي – الدور الأول - 36 ش عبد الحميد الديب – شبرا مصر

0222017260 – 01550096215

elsaidpublisher@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

# حكاية عنايات المحمودي

## اقتلني يا رب بالموت و لا تقتلني بالملل

مجموعة قصصية

تأليف

**أحمد دسوقي مرسي**

السَّعيد
للنشر والتوزيع

# اهداء
# الكاتب لأمه

إذا قلت (يا نينه أنا أحبك ) ...فهل أضيف معنى جديداً فى حياتى... ذاك أمر قد استوى فى القلب منذ مولدى و لا عجب فأنا بضعة منك وشىء محفور منك فى أعمق أعماقى و فى طيات دمى شيء قد وهبتنيه... منذ وهبت إلى الحياة و عشت أنا ابنك الأصغر تحت رجليك خمسة و ثلاثين عاما و نصف العام أستدفئ بين جناحيك و أنعم بحنانك وأستظل تحت ظلالك فكيف لا أحبك ؟ و حبك قدرى الذى أتنفسه وعليه أعيش فأنت لى بعد هذه السن أمى و رفيقتى و حبيبتى وابنتى الكبيرة ...فالحب يا نينه قليل عليك فهناك فى القلب شىء أكنه لك ما له حدود و لأنى أحبك فأنا أتعذب لى و لك فأنا أراك على الدوام تمرضين و تعانين و ما زلت يا نينه أذكر تلك الليالى البعيدة قد كنت صبياً يافعاً حين كنت أغلق على نفسى غرفتى لابكى هناك وحيداً ما شاء لى البكاء أرفع كفين صغيرين إلى السماء و صوتى الطفولى يضرع إلى الله لك بالشفاء ..لكم تمنيت يومها يا نينه أن أكون ثرياً لأحقق لك الآمال و لكن هل ترانى يا أمى الحبيبة أستطيع أن احقق لك ما تصبين إليه ؟ فلا يا أمى فأنا ما زلت عاجزًا كل العجز و لم تعطنى الحياة بعد ..ما أريد

لو أستطيع فقط أن أهبك حياتى لوهبتها لك بصفو نية و لكنت بذلك سعيداً كل السعادة فمنذ أيام قلت لى

( الوحدة هتموتنى ) هل تذكرين؟

أحسست يومها كأن يداً قاسية تدفعنى لأقع فى بئر عميقة ما

لهـا مـن قـرار .مـاذا أفعـل ؟ أنـا الانسـان المكبـل لحظتهـا تمنيـت أن تكـون لى سـيارة لأمـضى بـك فى الحـال فى نزهـات تخفـف عنـك آلامـك ووحدتـك الرهيبـة لكنـى أعلـم أن بعضـاً مـن دوائـك هـو الـكلام مـع النـاس والاسـتئناس بهـم و ذاك دواء يـا نينـه شـحيح و نـادر فى هـذه الأيـام رأيـت أننـى عاجـز ..عاجـز تمامـاً و مـن ثـم فـلا أملـك لـك إلا العطـف و الإشـفاق و مـا أرخصهـما مـن إهـداء

آه يـا نينـه لـو كنـت نصـف إلـه ..لوهبتـك خلـوداً أبديـا و جعلتـك أمـاً أبديـة لكننـى مـع ذلـك إنسـان فأنـا لا أملـك لنفـسى و لـك نفعـاً و لا ضراً وليـس لى إلا أن أمتثـل لحكـم اللـه فينـا

وأدعـو اللـه مـن سـويداء قلبـى أن يرحمـك أنـت و أبى كـما ربيتـمانى صغـيرا

وداعـا يـا نينـه و إلى لقـاء قريـب و مـا أقصرهـا الحيـاة و نحسـبها طويلـة

**وداعـــــاً**

**أمى و رفيقتى و حبيبتى و ابنتى الكبيرة**

**السبت ٨ ديسمبر ١٩٨٤**

# الكاتب ينعى نفسه

اقتربت سفينة حياتى التى تخوض فى بحر الحياة المتلاطم من نهايتها ....و قد بدا المرسى قريبا و لم يعد باقيا من حياتى إلا سنوات قليلة لا أدريها سينعم الله بها على إن شاء برحمته

و قد بدأت أجراس السفينة تدق كلما اقتربت من مرساها ودقاتها المتواصلة ترعبنى بأمراضها هكذا حياتى مرت سريعة كغمضة عين فمنذ هذه الأيام كانت (الداية) تبشر أبى بالمولود و أطلق عليه أحمد و هو أنا و الآن سوف تسافر لهم روحى لكى نلتقى بعد طول غياب

آه يا أمى أنت و أبى كم أشتاق لكما كثيرا أشتاق لكل شىء منكما كم كنت أتمنى أن أشم رائحتك الذكية، أشتاق لحضنك وضمك لي وحنانك يا أمي أشعر دائما بالوحدة من دونك و أشعر كأنى غريب يشعر بالغربة و يريد العودة للوطن .

ليس لى أصدقاء أجالسهم أو أقابلهم كما كنت فى الماضى أما أهلى الذين هم أولاد و بنات أشقائى تلهيهم الحياة عن السؤال عنى ..... صحيح أننى أعذر البعض

فالشيخوخة تجعلهم صامتين و العياذ بالله متعبين يتأملون أوجاعهم فى حزن صامت

أما الشباب فهم لا يبالون بمن كان فى سناً و يحسبون الحياة ستمضى بهم كما كنا نحسبها قبلهم ستمضى جميلة و مريحة رائعة و أنا أعجب لهم فقد أتيحت لهم وسائل للاتصال لم تكن موجودة فى عهدنا و فى شبابنا فالتليفون الذى أسموه الأرضى الآن لم يكن متاحا لنا إلا فى بيوت ذوى الثراء و إذا كنا نريد الاتصال بأهلنا و أصدقائنا فلا يوجد أمامنا إلا خطابات البريد نتراسل بها لنرى بعضنا البعض من

خـلال الكلـمات المرصوصـة عـلى السـطور و نشـم ورق الرسـائل كأننـا نشـم رائحـة الحبايـب

وداعـا كل شيء وداعـا و ليـس بيـدى البقـاء مـع الأهـل و الأحبـاب ولكنهـا إرادة اللـه

أرجـو مـن اللـه الجنـة يـا رب هـب لى الجنـة فـما أحلاهـا كـما بشرتنـا بهـا و وصفتهـا لنـا فى الكتـاب المجيـد

**أحمد دسوقى مرسى**

**أكتوبر٢٠١٦**

# اهداء

# للكاتب من بناته

أبى

أهـدى إلى روحـك الغائبـة الحـاضرة الطاهـرة المطمئنـة هـذا الكتـاب فى عيـد ميـلادك الـذى اقـترب (٢٥ ينايـر ) خيـم الحـزن عـلى بيتنـا الصغـير منـذ أن فارقـت الحيـاة مـرت سـنة كلمـح البـصر بدونـك كيـف ؟ لا أعلـم و لكـن مـرت فـإن دوام الحـال مـن المحـال و كـما قـال النبـي عليـه الصـلاة والسـلام:

(( عـش مـا شـئت فإنـك ميـت، و أحبـب مـن شـئت فإنـك مفارقـه، واعمـل مـا شـئت فإنـك مجـزي بـه ))

بناتـك الثلاثـة ليـلى . مـروة و سـمر يقولـون لـك وحشـتنا يـا أغـلى النـاس ( الأماكـن لا تسـاوي شـيئاً عندمـا تخلـوا ممـن نحـب)

وكما قال الشاعر الكبير أحمد شوقى /

دَقّاتُ قَلبِ المَرءِ قائِلَةٌ لَهُ * إِنَّ الحَياةَ دَقائِقٌ وَ ثَوانـــــــي

فَارفَع لِنَفسِكَ بَعدَ مَوتِكَ * ذِكرَها فَالذِكرُ لِلإِنسانِ عُمرٌ ثاني

لهـذا نحيـى قصصـك التى طالما تمنيـت أن تنشرها لكى تـرى النور (و لكن الظـروف كانـت غـير مواتية معك) لتكـون لك ذكرى دائمـة و حياة ثانية

أبى الغـالى ....كنـت تقـول لنـا أنـا لا أقـول لكـم اشـكروا مـن أدى لكـم خدمـة و لكـن أشـكركم دائمـا عـلى أى شىء تفعلـوه لى لـكى تتعلمـوا طاعـة الشـكر

يقـول النبـي ﷺ (مـن لا يشـكر النـاس لا يشـكر اللـه) صـدق رسـول اللـه ﷺ

لذلـك نشـكرك نشـكرك طـوال حياتنـا فأنـت كنـت لنـا نعـم الصديـق . المعلـم . الحبيـب و أخـيراً أب

بابا وداعاً و إلى لقاء قريب يجمعنا باذن الله

و أخـيراً تخطـر عـلى بـالى أبيـات أبى الطيـب المتنبـى أهديهـا لروحـك الغاليـة :

أبلغ عزيزًا فى ثنايا القلب منزله * أنى و إن كنت لا ألقاه ألقـــاه

وإن طـــرفى موصول برؤيتـه * وإن تباعد عن سكناي مثـواه

يا ليته يعلم أنى لست أذكره * وكيف أذكره إذ لست أنســاه

يا من توهم أنى لست أذكره * والله يعلم أنى لست أنســـــاه

إن غاب عنى فالروح مسكنـــه * من يسكن الروح كيف القلب ينساه

**نحبك**

**بناتك ليلى . مروة . سمر**

**١٦ اكتوبر ٢٠١٩**

# مقدمة

أبى الحبيب ...أشكرك أشكرك طوال حياتى

رحلت عن دنيانا فى صمت و منذ رحيلك أصبحت الحياة قاسية ومرة كالعلقم فأصبحت أمشى وحيدة بدونك فى الشوارع التى اعتدنا أنا و أنت أن نسير فيها معا عصراً و أجلس على الأرصفة التى كنا نجلس عليها معا عندما كنت تتعب من المشى و تسرد لى قصة حياتك ومعاناتك مع الحياة أتذكر حكاياتك لى عن نشأتك الأولى وتقول لى :

أنا آخر العنقود أتيت إلى الدنيا بعد ثلاثة عشر سنة انقطعت نينه خلالهم عن الحمل ( كما كنت أدعوها فهى كلمة تركية يا ليلى لأن الأتراك احتلوا مصر فترة طويلة من الدهر ) بنتان و ثلاثة ذكور و أنا كان ترتيبى الأخير حياتنا كانت غير ميسورة الحال كان جدك رحمه الله الحاج دسوقى رجلا صالحا طيب القلب يعمل موظفاً فى شركة ماركونى للراديوهات مع الخواجات الإنجليز و عندما أتممت سن العاشرة وصل أبى إلى سن الستين و كما تعلمين هو سن المعاش بالحكومة طبعا

قال له الخواجة يا حاج دسوقى تختار أن تأخذ مكافأة ستمائة جنيه أم تأخذ شهرية ستة جنيه كل شهر حتى الموت ففكر سريعاً وقال آخذ طبعا مكافأة يا خواجه افرض تانى يوم رجعت الروح لصاحبها مراتى و ابنى أحمد يعملوا إيه يشحتوا و فعلا أخذ الستمائة جنيهاً و اشترى بنصفهم بيتا صغيرا و الباقى ادخره ليصرف على تعليمى ومصاريف البيت و قام بتأجير الدور الأول باثنين جنيه لمدام روجينا اليهودية وهى سمينة الحجم و خالها قصير القامة و رفيع و كنت أشاهده عند صلاته يلبس ملابسا غريبة و يلف فى صالة الشقة بشكل

دائـرى و هـو يحمـل كتـاب التـوراة و يقـرأ ثـم يقفـز قفـزة بسـيطة ثـم يقـرأ و هكـذا بشـكل دائـرى

و كنـت فى أواخـر ديسـمبر تعـودت أن تعطـى لى مـدام روجينـا شـيكولاته بمناسـبة عيـد عندهـم يسـمى عيـد الأنـوار (حانـوكا أو حَنُكَّـة) وهـو عيـد يهـودى يحتفـل بـه اليهـود لمـدة ثمانيـة أيـام ابتـداء مـن الخامس و العشريـن مـن شـهر كيسـليف حسـب التقويـم العـبري و كانـت ترسـلنى لـشراء ثمـانى شـموع لهـذا العيـد حيـث توقـد في مسـاء كل يـوم مـن أيامـه شـموعا بأعـداد متزايـدة كل يـوم في شـمعدان معـد خصيصاً لذلـك الغـرض. يتـم إضـاءة شـمعة واحـدة في اليـوم الأول، ثـم شـمعة ثانيـة في مسـاء اليـوم الثـاني و هكـذا حتـى تكتمـل إضـاءة الشـموع الثمانيـة و تتـلى عنـد إيقـاد تلـك الشـموع صـلاة شـكر للـه و سـبب الاحتفـال بهـذا العيـد هـو عندمـا لاحـظ آدم لأول مـرة تقليـص سـاعات النهـار في ذروة الشـتاء فخـاف و دعـا إلى اللـه ليعيـد نـور الشـمس. بعـد مـرور ثمانيـة أيـام لاحـظ أن النهـار يمتـد مـن جديـد فقـرر جعـل هـذه الأيـام موعـد فـرح و شـكر للـه.

نشـأت نشـأة سـوية غـير متعصبـة دينيـاً تربيـت عـلى ألا تفرقـة بـين مسـلم و يهـودى و مسـيحى كانـت أبلـة روجينـا تطلـع فـوق لنينـه لتـشرب معهـا الشـاى و ترسـلنى أشـترى لهـا مسـتلزمات مـن البقـال الـلى عـلى أول الشـارع عـم هـارون و أيضـاً كان يهوديـاً

و قـدم لى أبى فى المدرسـة الابتدائيـة و كلـما أدخـل امتحـان القبـول فى المدرسـة أنجـح بتفـوق فقـد كنـت أحـب القـراءة جـداً فى سـن السـابعة وكنـت أشـترى بمـصروفى مجلـة البلبـل و السـندباد آن ذاك و لكـن هيهـات الـذى لـه واسـطة هـو الـذى يتـم قبولـه و يدخـل المـدارس الحكوميـة عكـس الزمـن ده و يقـول الناظـر لأبى مفيـش أماكـن فاضيـة قـدم السـنة الـلى جايـة قـال لـه أبى مـا كـده الولـد هـتروح عليـه السـنة يـا بيـه وقـدم

لى أبي فى مدرسة خاصة بالمصروفات و هى المدرسة الإنجيلية الخاصة بشارع المنشية بالإسكندرية حيث انتقلنا من مدينة بنها إلى المنشية والسكن مع عمك محمد و مراته فى الإسكندرية لأن تم تعيينه كظابط فى البحرية لأنه من تلاميذ خضر التونى و هكذا كنت كل سنة أطلع الأول على المدرسة لكى آخذ المجانية و لا أكلف أبى عبء دراستى

أتذكر أن ناظر المدرسة الأستاذ ابراهيم ميخائيل مليكه جاء إلى بيتنا و نزلت و فتحت الباب له و قال لى نادى أباك و قد كنت آن ذاك غائبا عن المدرسة لمدة أسبوع لأن رجلى انكسرت و نزل جدك دسوقى و قال خيرا يا أستاذ ابراهيم رد عليه الأستاذ ابراهيم ناظر المدرسة بحدة ابنك غايب لمدة أسبوع عن المدرسة ابقى قابلنى لو نجح السنة دى و لو نجح سوف أعطيك مائة جنيه و فعلا طلعت الأول على المدرسة و عندما كبرت و أصبحت مدرسا قابلت الأستاذ ابراهيم بالصدفة و كان ابنه زميلا لى فى نفس المدرسة قلت له عليك لى مائة جنيه يا أستاذ ابراهيم فقال لى بتوع إيه ؟ فكرته بكلامه لأبى الحاج دسوقى زمان و ضحك بصوت عالٍ و اهتز كرشه

كان الناظر زمان يخاف على مستقبل تلاميذه و المعلم له احترامه و هيبته زمان كان تعليما بحق

قال لى جدك مرة اتجدعن أنا مش هعشلك للأبد و علامك هو اللى هيوصلك أنا لو مت اخواتك مش هيعلموك أصبحت كلماته ترن باستمرار فى اذنى و تعطينى دفعة للأمام

ذات مرة و أنا فى الابتدائية طلب مننا مدرس اللغة العربية كتابة موضوع تعبير و رجعت للبيت و لا أعرف ماذا أكتب فيه و فى صباح يوم تسليم الموضوع فى حصة اللغة العربية فتحت الكراسة و كتبت بطريقة سريعة و بدون تفكير فى الموضوع و كان الكلام يسترسل منى

بصورة تلقائية حتى أنهيت الموضوع و سلمته للأستاذ و عندما قام المدرس بتصحيح الكراسات وزعها علينا و نظرت فى الكراسة بسرعة وجدت أننى حصلت على ١٢ من ١٥ قلت ( أكيد يا ابو حميد فى حد أعلى منك فى الفصل ) و قال المدرس « اللى واخد أعلى درجة يقوم يقرأ الموضوع فى الفصل» و خيم الصمت فى الفصل و كأن على رؤوسنا الطير و لا أحد وقف و قال المدرس بصوت عال باستغراب

فى طالب هنا كاتب موضوع مثل الهرم لو حذفت منه كلمة انهار الموضوع الطالب ده يقوم يقف و يقرأ موضوعه بصوت عال ساد الصمت مرة أخرى قال ازاى أنا اعطيت طالبا هنا ١٢ من ١٥ و دى أعلى درجة فى الفصل قمت وقفت قال لى اسمك إيه قلت له أحمد دسوقى مرسى قال اقرأ يا أحمد على زمايلك الموضوع بصوت عال تلعثمت فى القراءة من شدة الخوف و ذهول المفاجأة فقال لى المدرس في إيه مش انت اللى كاتب الموضوع ده قلت له ايوه طيب امال إيه خايف ليه هات الكراسة و قرأ المدرس الموضوع و سمعت كلاما أشبه بالغناء المتناسق ( إيه ده يا ابو حميد هو انت اللى كاتب ده ....ده انت على كده مشروع أديب و انا معرفش هكذا كنت أتحدث داخل نفسى ) و دخلت المرحلة الثانوية أدبى بالرغم من حصولى على أعلى الدرجات فى المواد العلمية لكن لكى أصبح أديبا كبيرا مثل نجيب محفوظ و دخلت كلية الآداب جامعة القاهرة قسم جغرافيا و كنت من تلاميذ الدكتور العلامة الكبير جمال حمدان الملقب بأبو الجغرافيا و كان أحيانا كثيرة يترك لى المحاضرة لكى أديرها و هو جالس يسمع ومرة طلب منا بحث فقمت بعمل بحث عن قبائل البوشمن بأفريقيا وكنت أذهب إلى المكتبة يوميا للكتابة من المراجع العربية و الأجنبية و أترجم ما قرات فليس لدينا ماكينات تصوير مثل الآن و لا انترنت نبحث عن أى معلومة أو أى كتاب و نحن نجلس فى البيت تعبت كثيرا

و أخـذت فى هـذا البحـث تقديـر جيـد مـع مرتبـة الـشرف و كان الدكتـور محمـد صفـى الديـن أبـو العـز ( كان وزيـرا للشـباب في الجمهوريـة العربيـة المتحـدة (جمهوريـة مـصر العربيـة الآن) بـين سـنتي ١٩٦٨ و١٩٧٠) صديقـا لى فقـد كنـت أحـاوره فى المحـاضرة و أزوره فى بيتـه الشـخصى

الحمـد للـه كانـت الدكاتـرة كلهـا تحترمنـى لثقافتـى و نبوغـى فى الدراسـة أهـم شىء فى الحيـاة الثقـة و الاحـترام فى كل شىء منـذ البدايـة

تخرجـت مـن جامعـة القاهـرة و تـم تعيينـى حسـب القـوى العاملـة مدرسـا و بـدأت رحلـة الشـقاء و البحـث عـن لقمـة العيـش مـع مرتـب أكاد أعيـش بـه أنـا و أبى و أمـى عـشرة جنيهـات و حاولـت مـرارا أن أنقـل نفـسى إلى قصـور الثقافـة أو إلى مكتبـة المدرسـة كأمـين مكتبـة حتـى أكـون بجانـب مـا أحـب « الكتـب» و لكـن عبثـا و قـد قـال لى ناظـر المدرسـة يومـا «إنـك خلقـت لـكى تكـون معلـما» و كان عندمـا يغيـب لظـروف مـا أو يأخذ أجـازة مرضيـة يـترك نظـارة المدرسـة لى بالرغـم مـن صغـر سـنى ووجـود مدرسـون أكـبر منـى فى السـن أحـق بـالإدارة و كان سـنى آن ذاك خمسـة و عشريـن سـنة و لكـن كان ناظـر المدرسـة يثـق فى و يحترمنـى و يتأكـد مـن حسـن إدارتى للمدرسـة فى فـترة غيابـه و أن جميـع الطلبـة تحترمنـى و تحبنـى و كنـت أدخـل الحصـة أشرح مـادة الجغرافيـا ليـس المقـرر فقـط بـل أتوسـع و أتبحـر و أصـول و أجـول بشـتى المعلومـات التـى تجعـل الطـلاب كأنهـم فـوق فى السـحاب و بعـد انتهـاء الحصـة نهبـط كلنـا عـلى الأرض و لا يريـدون أن تنتهـى الحصـة أبـدا و كانـوا يطلقـون عـلى الأسـتاذ أحمـد الموسـوعة أو انسـيكلوبيديا الـشرق

أتذكـر أن أمـين المكتبـة قـال لى بصـوت غاضـب إيـه الـلى انـت عملتـه ده يـا أسـتاذ احمـد قلـت فى سرى هـو انـا عملـت إيـه قـال لى الفصـل كلـه طلـع إلى المكتبـة مـرة واحـدة يبحثـون عـن كتـب خاصـة بالقمـر و أصبحـت

المكتبة مكتظة بالطلبة قلت له إذن أنا نجحت فى توصيل المعلومة هكذا يصبح التعليم

هكذا كانت حياتى بين الكتب و الموسيقى و الطلبة و أتقى ربنا فى عملى حتى آخر وقت فقد كان أفضل شىء بالنسبة لى شراء كتاب عن شراء طعام

و أتذكر أيضا أنه تم انتدابى إلى مدرسة قوص الثانوية للبنين بمحافظة قنا لمدة سنتين و كنت أعانى أشد المعاناة من الحشرات والزواحف ومياه الشرب الملوثة التى أصابتنى بمغص كلوى و قد كنت أدخل الفصل بدون عصا فهذا سلوك مهين للطالب و كنت لا أجبر أحدا على حضور الحصة و بالرغم من هذا أجد الفصل كله موجود ولا يوجد طالب غائب فالطلبة حريصة كل الحرص على حضور حصتى وكان تقديمى للإذاعة المدرسية فى اليوم المخصص لى يلقى قبولا من الطلبة والمدرسين بالتهليل و التصفيق الحاد و قد حصلت على جواب شكر من وزير التربية و التعليم و شهادة مالية قدرها خمسة جنيهات أحتفظ بها حتى الآن لحصول فصلى على المركز الأول فى مادة الجغرافيا و الحمد لله

و تمر السنتان سريعا و يأتى يوم العودة إلى بنها جاءت الطلبة إلى حجرتى لكى تحزم أمتعتى و كتبى و عند الذهاب إلى محطة القطار الساعة الثالثة صباحا بالرغم من عتمة المكان لكن أصبحت محطة القطار كأنها طلعت فيها الشمس الطلبة تصطف على اليمن و على الشمال و تمسك المشاعل لكى تودعنى فسالت من عينى الدموع من شدة التأثر « عندما تزرعين النخلة لا تنتظرى منها بلحا إلا بعد ٢٥ سنة» هكذا التعليم و المعلم ليس له تقدير فى بلادنا كما تعرفين فقد قال وزير التربية و التعليم ذات مرة فى اجتماع للمعلمين لمناقشة اوضاعهم « أصل انتم كتير»

أتذكر وفاة جدك الذى هو والدى فهو كان مريضا و كان يرقد على السرير الكبير هذا الذى أنام عليه الآن و كان قد اشتراه بمبلغ اثنى عشر جنيها أيام زمان خشب أصلى ، دخلت حجرتى أستريح قليلا لأنى جلست طول الليل سهرانا على مراعاة أبى إذ سمعت بالخارج هرجا و مرجا فخرجت مسرعا فوجدت ستك تقول لى البركة فيك يا احمد البقاء لله أبوك مات نزلت علىّ هذه الكلمات كالصاعقة فقد توفى أبى و أنا أبلغ من العمر ثلاثين عاماً فهو كان صديقا و أخا و أبا بالنسبة لى كنت أحبه كثيرا و كنت أقول له أنت ابنى الكبير فيضحك و يظهر فاه الأدر أيام جميلة يا ليتها ترجع تانى

حاولت نشر مجموعة قصصية لى كنت قد كتبتها لكن دون جدوى فهذه البلد من له واسطة هو وحده الذى يصل فقد كنت أعرف أدباء كبارا و قد قلت لأحدهم ذات مرة أرغب فى نشر مجموعة قصصية لى ماذا أفعل ؟ رد على و قال مش انت مصرى قلت له على الفور طبعا قال لى طيب ما تنشر يا أخى قلت له بهذه السهولة كده لا أحد يساند أحد إلا بمقابل أو مصلحة هكذا البشر

أخاف من الوحدة و أخاف أن أموت وحيدا لأنكن سوف بإذن الله سيرزقكن الله بأزواج صالحين و سوف تتركوننى و أزواجكن سوف لا يرضون اصطحاب أبيكم معكم فى منزل الزوجية و يقولون هنعمل إيه بالشخص الهرم ده و أضطر آسفا الذهاب إلى دار المسنين مثل زميلى الأستاذ ماهر عوض خليل الذى لم ينجب و ذهب إلى دار لكبار السن بالكنيسة « مثل أبلة ماتيلدا فى قصتى أمى» و مات هناك وحيدا

الحمد لله وافتك المنية فى بيتك وسط بناتك كما كنت تتمنى يا أبى

آخر وصية قلتها لى يا أبى تتردد فى ذهنى دائما

« فخذى عنى يا ابنتى الحبيبة أهم شىء هو الثقة و الاحترام فكل

شيء فى هـذه الدنيـا لـه رد فعـل مسـاوٍ لـه عندمـا تقولـين طيـب تجديـن الـرد طيبـا و ابـدائى بالخـير دائمـا حتـى يظهـر لـك العكـس فـكل إنسـان لـه رائحـة و النـاس ليسـت غبيـة فهـى تعـرف و تحكـم عـلى الشـخص و تقـول هـذا أمـين و هـذا طيـب و هكـذا»

بابـا شـعرت بحـزن شـديد لفراقـك و لكـن مـا يصـبرنى أنـك موجـود فى مـكان أحسـن مـن هنـا و بـين يـدى اللـه الـذى هـو أرحـم مـن الأم عـلى وليدهـا و إن الحيـاة مـا هـى إلا لعـب و لهـو و إن الآخـرة هـى دار البقـاء

و أتذكـر أنـك كنـت فى حـيرة مـن أمـرك هـل تحـب البـشر أم تكرههـم وتقـر فى نفسـك بالكراهيـة و يـأتى شـخص يدخـل فى قلبـك السـعادة و الأمـل و النـور و حـب الحيـاة يجعلـك تغـير قـرارك فعـلا فالبـشر صنفـان لا ثالـث لهـما شـخص عندمـا تكـون فى محنـة لا يـتركك حتـى ينتشـلك مـما أنـت فيـه و شـخص آخـر يقـف بالخـارج يدعـو لـك فقـط و كنـت تـردد أبيـات أبى العـلاء المعـرى دائمـا

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب فى ازدياد

كنـت فى السـنة الأخـيرة ٢٠١٨ تذكـر المـوت كثـيرا و كنـت تريـد كتابـة كتـاب عـن المـوت و تقـول لى المـوت مـا هـو إلا أمـر اسـتدعاء مـن اللـه لعبـاده و بـدلا مـن أن يجلـس العبـد عـلى كـرسى حتـى يدخـل فى دوره ليحاسـب فيـما أفنـى عمـره ينـام عـلى صـدر أمـه الأرض

أخـيراً مـرت الحيـاة سريعـا يـا أبى كلمـح البـصر و غـادرت فى هـدوء وحشـتنا ووحشـنا الحديـث معـك فقـد كنـت حلـو اللسـان و طيـب المعـشر و الـذى يفهمـك و يتعامـل معـك بأسـلوبك و بنظامـك يحترمـك كنـت إنسـانا و دينـك الإنسـانية لا تفـرق بـين مسـيحى أو مسـلم أو يهـودى و كل إنسـان كان يتعامـل معـك يعـرف ذلـك مـن تصرفاتـك و تجـبره تصرفاتـك عـلى احترامـك

و كنت عندما تسير فى الشارع تقرأ السلام على من عرفت و من لم تعرف كما قال الرسول الكريم « أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» ﷺ و كنت عندما تجلس فى مجلس تتكلم عن مخلوقات الله و تقلب الموضوع إلى محاضرة علمية و ثقافية ومعرفة الله من خلال العلم أذكر ذات مرة ذهبنا أنا و أنت إلى الدكتور ميخائيل اسطفانوس « دكتور الأسنان» و كان لم يحضر إلى العيادة بعد و كانت العيادة مكتظة بالمرضى فأخذت تتحدث عن هيمنة الله على الكون والكل ينصت إلى كلامك فى انبهار كأن على رؤوسهم الطير فقد كنت حكاء بارعا من الدرجة الأولى و لك كاريزما فى الحكى رائعة و صوت هادئ ومتميز وتقول مش كده أحسن نقضى الوقت فى كلام مفيد مش كلام فاضى كما قال الله عز وجل فى كتابه « لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ» صدق الله العظيم ( سورة النساء :١١٤)

فأنت رحلت و تركت علما ينتفع به علمت أجيالا و أجيالا وتركت ثلاث بنات يدعون لك فى كل وقت لحسن تربيتك لهن ..

ليلى . مروة . سمر أحمد دسوقى مرسى نفتخر و نتشرف دائما بأنك أب لنا

فالشكر لك قليل عليك لك شكرى و احترامى طوال حياتى و دعائى لك بالرحمة و المغفرة

**بناتك**

**ليلى . مروة . سمر**

**١٦اكتوبر٢٠١٩**

ما قيل عن قصة حكاية عنايات المحمودى من :

الكاتب : محمد الخضرى عبد الحميد

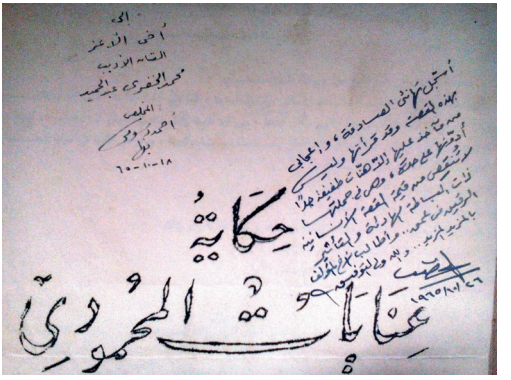


الكاتب : صبحى الجيار

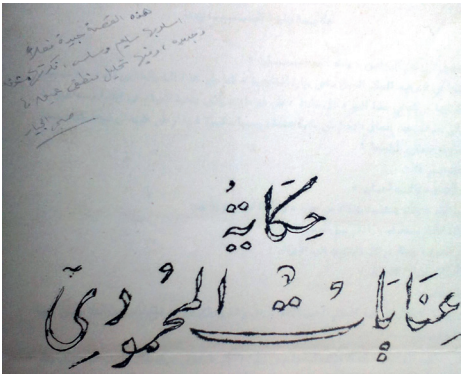


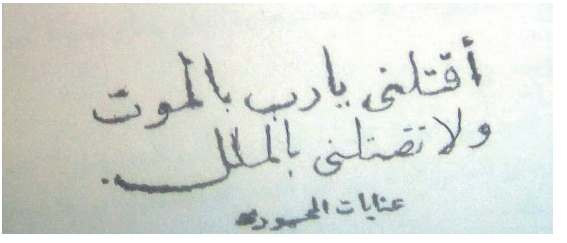

# حكاية عنايات المحمودى

اقتلنى يا رب بالموت و لا تقتلنى بالملل

« عنايات المحمودى»

- بدأنا الدخول إلى قسم المجانين ، و الله المستعان

كلمات تنبثق دائما فى نفس عبد السلام الجمل الساعى فى وزارة الخارجية ، كلما ولج هذا الباب الخشبى الذى يفضى إلى قسم السكرتارية ، لكنه فى هذا اليوم دخل مستبشرا ، على غير عادته وألقى بتحية الصباح فى ابتسامة كبيرة و اتجه مسرعا إلى مصطفى عبد العال فحط على مكتبه خمسة دوسيهات كبيرة و دار على عقبيه فى سرعة متجها إلى الباب فعاجله مصطفى بقوله :

- من أين جئت بهم يا عبد السلام ؟

- من عفيفى افندى و الست إحسان

- فأجال الشاب بطرفه و كأنه يستغيث بزملائه من حوله و قال غاضباً و هو يتأفف :

- الراحة فى هذه الأيام و فى هذه الوزارة مستحيلة ما دام سيل العمل لا ينقطع

- فقاطعه صيام افندى و عيناه ما زالتا مثبتتين على الأوراق التى أمامه

- الصبر يا أستاذ مصطفى تتعدل ...فلا تغضب

- تتعدل و لا ما تتعدل نحن و حظنا

- ثم رفع عينيه مبتسما و نظر إلى عبد السلام الجمل الذى كان

لايـزال واقفـا يحملـق فى صـورة الرئيـس بنظـرات لا معنـى لهـا و وجـه الخطـاب اليـه

- و انـت يـاسى عبـد السـلام ... أنـا لاحظـت أنـك تلمـع فى هـذه الأيـام خـبرنى بربـك هـل السـبب هـو زواج سـيادتك ؟

- هو كذلك يا مصطفى افندى

ثـم تعالـت مـن فمـه ضحـكات عاليـة فرنـا إليـه موظفـو القسـم وقـد ارتسـمت عـلى وجوههـم ابتسـامات متباينـة تحمـل مـن العجـب أكـثر مـما تحمـل مـن التسـاؤل بينـما راح البعـض ينظـر إليـه فى دهشـة عجيبـة مثبـت العينـين عـلى شـخصه و كأنـه يـراه لأول مـرة

- عبد السلام خذ هذا الدوسيه و أعطه لعبد الحميد سراج

و كان المتكلـم صيـام افنـدى فجـاءت إليـه كلماتـه فى هـذه اللحظـات أشـبه شىء بقـارب النجـاة وصـل فى وقتـه المناسـب لينقـذه مـن أمـواج أولئـك الموظفـين فارغـى البـال

و حمـل عبـد السـلام الدوسـيه خارجـا فى سرعـة و هـو يمسـح شـعره بيمنـاه و قـال فى نفسـه و هـو يصعـد السـلم :

- يـا سـاتر كلـما دخلـت أى قسـم أقابـل بالنـكات و كأنى فعلـت أعجوبـة الزمـان يـا سـاتر خصوصا قسـم الزفـت ..... قسـم السـكرتارية

و قال مصطفى عبد العال :

- و اللـه أنـا فى حـيرة ....شـعره أسـود كمعظـم النـاس أنفـه كبـير أسـمر الوجـه يعنـى لا جديـد أبـدا فى الشـخص و لكـن الغريـب و الأغـرب فى الموضـوع كلـه هـل هـذه الصفـات تؤهلـه للـزواج من عنايـات المحمـودى ؟

فقاطعه شاكر افندى و هو يضحك :

- كلام معقـول يـا أخـى فلـو أن أحدكـم أخـبرنى يومـا بـأن الـروس أو الأمريـكان صعـدوا إلى القمـر لصدقتـه فى التـو أمـا أن يتـزوج عبـد السـلام الجمـل .....عبـد السـلام سـاعى الـوزارة مـن عنايـات المحمـودى فهـذا هـو العجـب العجـاب .....

و سـكت فجـأة و كأنـه يتأمـل زوايـا الأحـداث العجيبـة و راحـت رأسـه تهتـز فى تتابـع و يلـوى شـفتيه و يقلبهـا بينـما ظلـت يمنـاه تـدق بالقلـم عـلى المكتـب دقـات خفيفـة رتيبـة لا معنـى لهـا

و كأنها تحمل دهشته لتصنعها هذه الدقات الرتيبة

و التفـت إليـه عندئـذ صيـام افنـدى مـن وراء عويناتـه و شـعره الكثيـف و قـال و هـو يضحـك

- الدنيـا مليئـة بالطيبـات كـما هـى مليئـة بالعجائـب و المثـل يقـول «الـلى يعيـش ياما يشـوف و الـلى يمـشى يشـوف أكـثر»

فقال مصطفى عندئذ و هو يضج بالضحك :

- أقسـم باللـه ثلاثـا أن التهنئـة التـى نـشرت فى الجريـدة لم تكـن معقولـة أبـدا كان يجـب أن تكتـب تحـت عنـوان « صـدق أو لا تصـدق » عبـد السـلام الجمـل السـاعى فى وزارة الخارجيـة تـم زواجـه أمـس بالآنسـة عنايـات المحمـودى الموظفـة بالـوزارة فتهانينـا للعروسـين

و تضاحك الزملاء فى عنف حتى قاطعهم صيام افندى مازحا :

- أو تكتـب فى روبرتـاج صحفـى و بذلـك تصبـح خبطـة الموسـم بلغـة الصحفيـين

- يـا جماعـة ....يـا جماعـة و اللـه عبـد السـلام الجمـل فى رأيـى أحسـن منهـا ألـف مـرة

و كان المتكلم شحات المدبولى الذى ظل حتى هذه اللحظة يشارك زملاءه الضحك دون أن يتكلم و كان قد فرغ من توه من عمله و قد أمسك بالقلم بين يديه مرتفقا مكتبه فرد عليه مصطفى عندئذ وهو يضحكك

- صدقت و الله ...لقد كانت تجلس فى كثير من الأحايين صامتة ساكتة و كأنها تخاصم القسم كله و إذا تكلمت فبحساب كالفلاسفة زد على ذلك أنها عاطلة أيضاً من الجمال

فقاطعه صيام افندى

- و لكنها ذات وجه مقبول مع ذلك

فرد شحات عندئذ قائلا :

- جميلة قبيحة ....كل منا له نصيب فى الحياة

- على رأيك

قالها أكثر من موظف و ساد الصمت بينهم فجأة... حين شخص عبد السلام الجمل أمامهم يمضى فى الردهة مسرعا بينما راحت الأقلام تعمل عملها فيسمع صريرها الرتيب الذى لا تقطعه غير خروشة الأوراق عند تغيير صفحات بعض الدوسيهات و من حين إلى آخر يسمع تنهيدة من هنا أو هناك و تأفف من العمل ....

و الحقيقة التى لاشك فيها أن قسم السكرتارية بكل هيئته وموظفيه و هو على الأخص قسم الوزارة الوحيد – لم يستطع فيه كل موظفيه هضم زواج عنايات المحمودى بعبد السلام الجمل وقد اعتاد موظفو القسم و كلهم من الرجال أن يسأل أحدهم سؤالا لا معنى له عن سبب زواج عنايات المحمودى من هذا الرجل و هو سؤال غريب حقا ففى كل يوم جديد يقترن فيه آلاف من الناس و مع

ذلك لا يسأل أحد لماذا هم يتزوجون : بيد أن زواج عنايات المحمودى بعبد السلام الجمل فيه شى من الغرابة و الطرافة خصوصا من الآنسة التى لازمت قسم السكرتارية ردحا طويلا من الزمن

و الذى يعرفه موظفو السكرتارية تمام المعرفة عن عنايات المحمودى أنها كانت دمثة الأخلاق إلى حد البلاهة .... بها انطواء عارم يلفها فى جو من الغموض حتى لا يستطيع الإنسان حيالها أن يتكهن ببعض حياتها و لعل هذا الغموض و تناقضه مع طيبتها المفرطة هما الصفتان الكبيرتان اللتان لازمتا كل حياتها طيلة خدمتها فى الوزارة التى استغرقت سبعة عشر عاما بطولها كانت الفتاة الوحيدة التى تعمل فى قسم كل موظفيه من الرجال زميلات غيرها لم يمكث فيه غير سنوات معدودات و نقلن منه إلا هى فقد ظلت قابعة فيه و كأنها تعاقدت معه إلى الأبد و لم يعرف أحد عنها طوال تلك الفترة الطويلة من مدة خدمتها حتى استقالتها أنها قد خاصمت أحدا من زملائها أو زميلاتها اللهم إلا مرات قليلة لا يكاد يلحظها أحد حتى هى قد نسيتها تماما و نسيت كل بواعثها عليها و قد عرفت الآنسة عنايات منذ اثنى عشر عاما باسم عجيب سرعان ما انتشر فى كل القسم ثم فى باقى الأقسام حتى كادت تتعود عليه من فرط ما سمعته و هو « عنايات ذات العوينات» و لتلك التسمية قصة طريفة يقصها صيام افندى على زملائه فى القسم بمرحه المعهود ....فقد لاحظ لأول مرة بعد ثلاثة أعوام من بدء خدمتها أن الآنسة عنايات لا تكاد تخلع عن عينيها عويناتها و لو مرة واحدة حتى خيل إليه يوم ذاك أنها قد ولدت بمنظارها الذى لا تخلعه عن عينيها أبدا فضحك منها موجهاً إليها الخطاب فى ذات يوم

- يا آنسة عنايات أنت أبدا لا تخلعين عويناتك

- فقالت له فى ابتسامتها الصغيرة

- أمر ربنا

- سامحى تطفلى – أرجوك – هل تنامين بها كما يدعى البعض ؟

فضحكت فى خجل و لم تجب و بان على محياها حزن كبير و منذ ذلك الحين و هى تعرف فى الوزارة بعنايات ذات العوينات أما غير ذلك فقد ظلت الآنسة على نشاطها المعهود تعمل ما يطلب منها دونما شكوى أو تأفف أو حتى تثقل على كاهل أحد و تلك ميزة كانت تقف فى صفها يعترف بها كل زملاؤها و لا يتجادل فى شأنها اثنان بل كانت فى كثير من الأحايين تنظر إلى اللاشىء فى شرود كشرود الفلاسفة و يرتسم على وجهها الناحل أحزان هائلة بينما تبدو عيناها خلف عويناتها ضيقتين تنضحان تعباً و إرهاقاً و تعود زملاؤها على نظراتها الشاردة كما تعود كل من رأوها على صمتها فقد سئموا صمتها أو رغبوا عنها فتركوها و أحزانها تجتر متاعبها فى صمت متألم دونما شكوى و إن كان صمتها لم يجد يوماً التفسير من متطوع هازئ حيث يقول لزملائه فى غيابها :

- إنها تفكر فى الزواج و تتألم من عنوستها الشقية أى و الله

و قد قص صيام افندى على زملائه يوماً حكاية عجيبة عنها لم يصدقه فيها بعض زملائه الجدد و لكنهم لم يسعهم إلا التصديق خصوصا و أنه أقدم موظفى القسم إذ قضى فيه أكثر من ثلاثين عاما....

قال يوماً و العهدة على الراوى

- إنكم لا تصدقون هذه القصة عنها لقد خطبها لنفسه رئيس القسم منذ خمسة عشر عاماً و كان سنها فى ذلك الحين يقارب الثلاثة و العشرين عاماً و كان هو قد جاوز الخمسين من عمره بثلاثة أعوام

و لكنها رفضت فى تصميم عجيب .....

- إنها لا تفكر فى الزواج الآن و سرت إشاعة عنها روتها لنا زميلتها «فهيمة الحسينى» أنها على حد قولها لم يعجبها لكبر سنه و هى تطمع فى شاب خير منه كما يتذكر زملاؤها عنها نفس القصة مع زميل آخر لهم جاءها خاطباً فردته عنها خائباً و لم يدر أحد أسباب رفضها بعد

تلك هى الأشياء الكبيرة التى يعرفها كل زملاؤها هناك فضلاً عن ذلك قصصاً كثيرة تروى عنها بعضها اختلقه البعض اختلاقا والآخر روى عنها بقصد النكتة و الضحك ولكنها لا تعنى أحدا كثيراً ....ذلك لأن الفتاة التى عرفها زملاؤها فى قسم السكرتارية هى غير الفتاة المسكينة التى تعيش حياتها فى شبرا و إذا كانت حياتها فى الوزارة تتسم بالغموض و الصمت فهى تحيا فى بيتها حياة كلها آلام و أحزان و ماذا فى حياتها حتى تثرثر به فخراً أمام زملائها بل ماذا فى نفسها تحكيه غير الألم و هى التى عاشت حياتها الطويلة لا تدرى يوماً سعيداً مر بها و عاشته بكل دقائقه و ساعاته و الملل ..... الملل الفتاك يسرى فى حياتها بطولها حتى أضحت كل أعوامها يوماً كاملاً متصلاً لا تبديل فيه ولا تغيير . تماماً كالمستنقع الهائل قد تراكمت على سطحه العفونة وخرجت منه الروائح الكريهة فهى منذ مولدها فى ذلك البيت العتيق فى شارع مسرة بشبرا منذ ثمانية و ثلاثين عاماً لم تغادره إلا للمدرسة أو العمل لتعود إليه مع الظهيرة تقضى فيه يومها حتى الصباح و يا لها من حياة و قسوة العنوسة لا يمكن أن تعد لها قسوة فى هذا الوجود إلا من جربتها من النساء و ما أعظم وحدتها التى عاشتها لا صديق لها إلا الالم إذا تحركت بحساب و إذا سهرت خارج بيتها فبحساب أيضا و إلا هجمت عليها الاقاويل تعتصرها و تفترسها و حتى أمها الصديق الوحيد الذى كان يفهمها على هذه الأرض غادرتها إلى غير رجعه وماتت

منـذ ثلاثـة عـشر عامـاً غادرتهـا لـكل الألم الموجـود و كانـت هـى تجلـس وحدهـا تناجـى آلامهـا

- أكان ينبغـى عـلى أن أعيـش هـذه الحيـاة و الـكل مـن حـولى يعيـش حياتـه بكاملهـا يسـتمتع بأطايـب الكـون و لذائـذه و غـيرى مـن النـاس يقلـون عنـى إخلاصـاً و طيبـة و مـع ذلـك فـما أكـثر الضجيـج فى حياتهـم وكل زميـلاتى و صديقـاتى متعهـن الله بالـــزواج و الاطفـــال و عشـن حياتهن المكتوبـة بسـعادة بمـا يـرضى اللـه بينـما أنـا أظـل أجـتر أحـزانى لا يمـلأ وحـدتى غـير أب متهـدم عجـوز كلـه مـرض لا زوج لا أطفـال ....آه يـا رب هـل نسـيتنى « اللهـم إنى إسـتغفرك »

و عندئذ تبكى و تنتحب و شىء حزين يصرخ فى أعماقها صامتاً :

- ألا مـن نهايـة لهـذه الأحـزان , « اقتلنـى يـا رب بالمـوت و لا تقتلنـى بالملـل »

و هى مهما عاشت لن تنسى ما حدث لها ذات يوم :

كان ذلـك منـذ أعـوام مضـت حينـما تعرفـت عـلى شـاب كان يلقاهـا فى الطريـق يبتسـم لهـا كلـما لمحتـه و يسـير وراءهـا صامتـاً لا يتكلـم ..... كان جريئـاً ذا عينـين مقتحمتـين و إن كان وجهـه يبـدو لهـا فى جملتـه طيبـاً.....كان معجبـاً بهـا فى صمتـه و مـن ثـم كان يلـح عليهـا بالسـير وراءهـا يومـا بعـد يـوم دون كلـل أو ملـل حتـى تشـجع يومـاً و سـار بجوارهـا و ألقـى عليهـا التحيـة و لكنهـا سـكتت و لم تحـر جوابـاً و قـد تجاهلتـه تمامـاً و ظلـت تسـير صامتـة فى هـدوء و إن كان قلبهـا يهتـز فى جوفهـا مرحـاً و حبـوراً و ظـل يكلمهـا عـن إعجابـه و حبـه بكلـمات بسـيطة متلعثمـة و كان صمتهـا الوقـور يشـجعه عـلى الاسترسـال حتـى قاطعتـه فجـأة بقولهـا :

- أرجوك دعنى فقد اقتربت من المنزل ماذا تريد منى بالله عليك؟

و حينـما غادرتـه إلى بيتهـا أحسـت أنهـا لم تكـن حازمـة معـه كـما ينبغـى و اعترفـت فى نفسـها أنهـا حينـما تقابلـه يتملكهـا الفـرح و يرقـص قلبهـا طربـاً ثـم تسـاءلت فى استسـلام خاشـع :

« و ماذا أفعل إزاء شاب جرئ مثله»

و هكـذا شـهدت حدائـق الجيـزة و أطـراف القاهـرة حبهـما الجـارف حتـى إذا كان يـوم انقطـع فيـه عـن صداقتهـا و لم تعـد تـراه ذلـك أبـدا و انتظـرت منـه كتابـاً يأتيهـا يفـسر لهـا سـبب غيبتـه عنهـا و قـد تحطـم صبرهـا عـلى صخـرة اليـأس و كادت تقطـع منـه حبائـل الآمـال حتـى إذا كانـت يومـا عائـدة إلى بيتهـا رأتـه يسـير هادئـاً بصحبتـه فتـاة جميلـة وقـد تشـابك ذراعاهـما فى حـب سـعيد و كان يحادثهـا بحنـان و ينظـر لهـا مبتسـماً و قـد بانـت عليـه أفانـين السـعادة

رأت كل ذلـك فـرأت منظـراً لم تكـن تتوقعـه أبـدا فانحنـت مسرعـة تنحـــــدر إلى شـــارع آخـــر و قدماهـا تسرعـان بهـا و قلبهـا يرتجـف بـين أضلعهـا و دماؤهـا تـزأر بـين جوانحهـا فى هيـاج عـارم ينـذر بالانفجـار .... وانبثـق فجـأة كـره هائـل فى نفسـها لـكل أنـواع الرجـال و ودت مـن صميـم قلبهـا لـو امتلكـت ناسـفاً تنسـف بـه كل هـذه المخلوقـات الفاجـرة الخائنـة .....حتـى إذا خلـت بنفسـها فى بيتهـا راحـت تنشـج نشـيجاً هائـلاً تفجـرت فيـه دموعهـا و هطلـت كـما لم تهطـل مـن قبـل ....و اقتنعـت بعـد هـذه التجربـة الهائلـة أنهـا لابـد و أن تكـون غـير ذات جـمال أو أن أنوثتهـا ناقصـة غـير كاملـة و إلا لمـا هـرب منهـا الشـاب الـذى علقـت عليـه كل آمالهـا و لمـا اسـتحالت و عـوده الحلـوة اللزجـة إلى سـخرية و هـزء فى النهايـة ..... وهـى لم تكـره الرجـال بقـدر مـا كرهـت نفسـها التـى تحطهـا بـين جنبيهـا تلـك النفـس المعقـدة المضطربـة الثائـرة التـى لا تعـرف قـدر نفسـها فلـو

كانـت مثـل كل النـاس إذن لسـعى إليهـا بعـض الرجـال خصوصـا و أن البيـت الكبـير الـذى تمتلكـه هـى و أبوهـا سـيئول إليهـا بعـد موتـه إذ أنهـا وارثتـه الوحيـدة و لكنهـا و قـد شـارفت عـلى الأربعـين فليـس لهـا مـن مطمـع فى الرجـال و لا رجـاء فى حيـاة عاديـة كمعظـم نسـاء العالمـين فقـد أهلكهـا اليـأس و جـدف بهـا بعيـداً عـن حيـاة النسـاء و غـداً أو بعـد غـد سينسـكب الشـيب عـلى رأسـها و بذلـك يكـون آخـر أبـواب الأمـل قـد أغلـق و لا مفـر

و أخـيراً ظهـر عبـد السـلام الجمـل فى حياتهـا كان يكبرهـا بخمسـة أعـوام وجدتـه رجـلاً هادئـاً وقـوراً مـا زال عزبـاً حياتـه تشـبه حياتهـا مـن قريـب فضـلاً عـن ذكاء لمـاح و مـرح لطيـف يمتـاز بهـما أكـثر مـن بعـض زملائهـا

و لم تـرده عـن رحابهـا خائبـاً و رضيتـه بعـلا لهـا و لمـا اقـترح عليهـا أن تـترك خدمتهـا لم تجـادل أو تعـترض بـل تركتهـا فى سرور و تخلـت عـن مكانتهـا و مرتبهـا راضيـة مرضيـة

و ماذا كان عليها أن تفعل غير ذلك.....

السبت ٦ يوليو « تموز» ١٩٦٣

# أمـــى

تنهدت و أنا آخذ نفساً عميقاً و كأني أستاف عبير الحبيب

- يا سلام .... ما أجمل أن يعود الإنسان إلى الوطن

نظر إلى مبتسماً

- كنت ستجن على السفر .... أنسيت؟

لم أعلـق عـلى كلماتـه فقـط شـدتني الأشـواق إلى كل الأشـياء فرحـت أتطلـع إليهـا خلـف الزجـاج بحنـين كاللهيـب كأننـي طفـل عـاد إلى صـدر أمـه بعـد طـول غيـاب ... لكننـي تذكـرت فجـأة و قـد نسـيت مـن فـرط فرحتـي بالعـودة أن أمـي لازالـت تقيـم عنـد أخـى في شـقته .

- اسـمع لقـد نسـيت ، اذهـب بي إلى بيتـك أولا لأرى أمـي تـرى كيـف حالهـا الآن؟

- بصحة جيدة و دائماً يا عم تدعو لك بدوام الصحة و السعادة

- الحمد لله

رفعت يدي في إشارة لإؤكد له فرحتي و ارتياحي

- أظن أنها مشتاقة إلى قدر اشتياقي إليها

- طبعاً

و هز رأسه و كأنه يدعم كلماته

- أتعـرف لقـد اشـتريت لهـا أول مـا وصلـت سـجادة صـلاة أنيقـة جـداً و شـالا مـن القطيفـة و راديـو و طرحـة حريـر طبيعـى سـتفرح كثـيراً بهـذه الهدايـا الصغـيرة أنـا أعـرف ماما

- كل ذلـك عظيـم و لكنـى مـع ذلـك أنصحـك أن تذهـب إلى زوجتـك أولا حتـى لا تغضـب منـك أمـا عـن أمـك فالوقـت لديـك موفـور لتذهـب إليهـا و قتـما تشـاء

ضحكت طبعا من نصيحته و تعجبت أيضا لاقتراحه

- اسـمع سـأكلمك بصراحـة زوجتـى أقـدر عليهـا أمـا أمـك فـلا أسـتطيع أن أغاضبهـا بـأى حـال مـن الأحـوال إنـت عـارف

- الـذى أعرفـه جيـدا أن زوجتـك لـن تسـامحك أبـدا إذا أنـت أنزلتهـا فى المحـل الثـانى سـلنى أنـا عـن النسـاء

أضحكنى قوله

- يعنـى سـيادتك « خبـير بأجـواء النسـاء عليـم » هـل نسـيت أن أمـك مـن النسـاء أيضـا و أنهـا سـيدة كبـيرة و ذهـابى إليهـا أولا يعنـى عندهـا لمسـة وفـاء عظيمـة

- و لكن يا أخى

قاطعته بسرعة لأسد عليه منافذ الكلام

- هـذه اللمسـة اسـمع كلامـى تعنـى إحساسـها أنهـا لازالـت مرغوبـة ومهمـة مـن أولادهـا

- يا أخى .....انت دماغك صلبة جدا كالحجر .....أنا أقصد .....»

- يـا حبيبـى ... يـا دكتـور لا تقصـد أى شىء .. هـذا قـرار نهـائى وصلـت إليـه قبـل سـفرى مـن هنـاك بشـهر .. فاطلـع إلى بيتـك عـلى طـول و لا تلـوى بنـا عـلى شىء

- أنت حر و لكن أمك...

و صمت فجأة و لم يكمل . ظلت يداه على عجلة القيادة والسيارة بنا تندفع كوحش هائج عبر طريق المطار الطويل

- مالها لماذا سكت فجأة ... هل حدث لها مكروه – لا قدر الله ؟!

خفف قليلا من سرعة السيارة . التفت إلى بسرعة و ابتسم .

- يا أخى .. لا تنزعج بهذه الشدة فأمك بصحة جيدة و الحمد لله ....و لكن ....» و سكت قليلا و ابتلع ريقه ثم استطرد بصوت خفيض

- أنت تعلم قبل سفرك أن الاستلطاف معدوم تماما بين زوجتى و ماما

- ماذا تقصد ؟!

- سأحكى لك كل شىء

- طيب ... قف بالسيارة على هذا الجانب أرجوك حتى نستطيع أن نتكلم بحرية أكثر

انحنى بسيارته إلى جانب الطوار الأيمن و أوقف محركها و أراح ذراعه على عجلة القيادة ثم التفت إلى ، و تنهد

- اسمع يا سيدى ... بعد أن سافرت أنت بأيام قليلة .... بدأت مشاحنات عجيبة بين أمك و زوجتى

سعل فى تكلف . مد يده إلى درج فى السيارة ، و أخرج علبة سجائره. أشعل منها سيجارة و ابتسم .

- عند عودتى إلى البيت كنت أجد أمك فى ناحية ، و زوجتى وأولادها فى ناحية أخرى .. أجلس مع زوجتى فتقول لى كلاماً ، أسمع نقيضه عند أمك .

عضضت شفتى السفلى . هززت رأسى متحسراً ...آه يا رب ... لقد تحقق بالفعل ما كنت أخشاه .

مسح على خده ...أخذ نفساً عميقاً من سيجارته .

- يا أخى ماذا أقول لك ... كنت فى كثير من الأحيان أحضر من المستشفى و أنا أكاد أموت من التعب فأجد البيت و كأنه ساحة معركة طاحنة لا ينقصها فقط سوى قعقعة السلاح .

هز يديه قانطا . حدق فى عينى .

- قل لى و حياتك ماذا تفعل لو كنت أنت مكانى ؟

- طيب ..طيب و ماذا فعلت أنت ؟

نفخ فى ضيق

- الذى فعلته كان هو الحل الأوحد و الأوفق لحالتى و ظروفى فإما أن أهدم بيتى لإرضاء أمك أو أرضى زوجتى على حساب أمى وكلاهما عندى مستحيلان

- طبعاً اخترت الحل الثانى

قلتها بسرعة بشىء من الغضب و الاستنكار

- لا .. انتظر.. ليس بهذا المعنى الذى تفهمه فأمى هى أمى لقد عرضت عليها أن ألحقها بإحدى مضايف الشيخوخة فقبلت بعد أن رأت و تأكدت أن بذرة السلام لن تنبت بينها و بين زوجتى

- يعنى باختصار يا دكتور أمك الآن فى أحد بيوت الشيخوخة « دار مسنين أو دار للعجزة »

- انتظر قليلا أرجوك لا تفهمنى خطأ لقد اخترت لها أحسن مضيفة

فى البلـد و دائمـا أقـوم بزيارتهـا و أى حاجـة تريدهـا تكـون عندهـا و زيـادة سـوف تـرى بعينيـك حـين نصـل

مسحت على جبهتى بيمناى

- اخص عليك اخص عليك يا دكتور أمك

- أرجـوك لا تنفعـل هـل تظـن أن حبـى لأمـك أقـل مـن حبـك لهـا بالطبـع لا و مـع ذلـك أقسـم لـك لـو كنـت فى مـكانى و فى ظـروفى لفعلـت مثلـما فعلـت

لويت شفتى متحسراً كبت غيظى الملتهب عليه

- طيـب مـا علهـش – اطلـع بنـا يـا دكتـور – إلى أمـك اطلـع بسرعـة أرجـوك ابتسـم و أدار محـرك السـيارة

- أما زلت مصراً على الذهاب إليها أولا ؟

- اطلع بنا يا دكتور إلى أمك اطلع من فضلك

قلتهـا فى غضـب و إصرار و أنـا أكاد أحرقـه بنظـراتى كنـت أيضـا متحفـزاً للعـراك معـه لـو امتنـع أو حتـى تباطـأ

- أنت حر

و هز كتفيه و اعتدل فى جلسته

- أسرع من فضلك على قدر الإمكان

بعدهـا نبتـت أشـواك الصمـت القـذرة تفصـل بيننـا حرصـت غاضبـا ألا تقـع عينـاى عـلى مـرآة هـذا الأخ الجاحـد و فعلتـه النكـراء كيـف باللـه طاوعتـه نفسـه ؟

و هـذه الأم المسـكينة أى ذنـب أذنبـت و أى جريمـة أجرمـت حتـى

يقـذف بهـا ولداهـا اللعينـان فى ملجـأ العجـزة عجـوز وحيـدة مريضـة وكأنهـما بذلـك يفـران مـن مجذومـة أنـا لا أبـرى نفـسى فيالهـول مـا فعلنـا

ظلـت نظـراتى تنسـكب عـلى مناظـر الطريـق بحـماس أثلجـه الفتـور وانطفـأت و أسـفاه كل مصابيـح الأشـواق فى قلبـى و عـادت مـن ثـم الأشـياء التـى كنـت أراهـا بهيجـة جميلـة إلى قبحهـا القديـم الملـول كـما تركتهـا وأنـا أعانيهـا كأنى مـا غادرتهـا يومـاً و مـا حملـت لهـا فى قلبـى حنينـاً

كان خيـالى المحمـود يطـن حـول رأسى كذبابـة عنيـدة و يرسـم لى أمـى راقـدة هنـاك فى هـذا الملجـأ يتيمـة ضائعـة بـلا أهـل و لا أصحـاب و لا دثـار بعدهـا بدقائـق و كأنى قمـت مـن غفـوة أحسسـت مـن أعماقـى واعجبـاً أن كل سـحب يـأسي و أحـزانى تتقشـع فى دخيلتـى عـن هـدوء و صفـاء عجيبـين و الآن صـار قلبـى فارغـاً تمامـاً يعشـعش فيـه الأمـن و السـلام لم أعـد أكـن أبـدا لهـذا المنكـود بجـوارى أى غضـب أو عتـاب حتـى أمـى التـى لم أحـب أحـدا فى الدنيـا سـواها لم يؤلمنـى وضعهـا الغريـب الجديـد و زوجتـى هـى الأخـرى التـى شـغفتنى حبـاً جفـت لهفتـى عليهـا و لم أعـد أتمنـى أن أراهـا

كانـت السـيارة تجـرى و تسـابق غيرهـا مـن السـيارات الأخـرى و أنـا أجلـس فيهـا إنسـانا لا أبـالى و كأن هـذا العـالم الصخـاب كلـه لا يعنينـى فيـه شىء أى إحسـاس هـذا الـذى يعترينـى ؟ لمـاذا هـذا الخـواء كلـه يحيـط بى كأنى أعيـش فى هـذا الكـون كلـه وحـدى أتـراه هـو الهـدوء الـذى قيـل عنـه أنـه يتقـدم كل العواصـف يبـدو ذلـك أنـا أعـرف نفـسى فكلـما دهمنـى الحـزن أبـدو كبطـة وقفـت بعـد ذبحهـا تهـز رأسـها الصغـير تنفـض عـن رقبتهـا سـيل الدمـاء المنهمـر تتوهـم العـودة للحيـاة لكنهـا المسـكينة سرعـان مـا تسـقط ليختلـج جسـدها بالمـوت كلـه ذبحنـى أخـى بنصـل سـكينه الرهيـف فلأسـتمتع بهـذا الزمـن القصـير الـذى يعقبـه الاختـلاج أعـرف نفـسى أيضـا أن هـذا الهـدوء سـيعقبه حـزن كثيـف و غضـب عنيـف

ربما خاصمت فيه أخى زمناً طويلاً و فى لحظات خاطفة أشبه شىء بومض البرق فى ليل الشتاء تذكرت معاناة أمى :

« .....وفاة أبى فجأة نحن إخوة ثلاث أنا و أخى و شقيقتى الصغيرة و المعاش الصغير الذى لا يستطيع أن يعول طفلا حتى نهاية الشهر تنهض أمى من كبوتها تعيد ترتيب بيتها من جديد تعود إلى عملها القديم قبل أن يتزوجها أبى حائكة فى مصنع للملابس تعود فى كل مساء منهوكة ممصوصة ألاحظها تبكى كثيراً فى وحدتها و تقول كلاماً منغوماً كالأشعار كله حزن و أسى عرفت منها فيما بعد أنه يسمى ( تعديدا) يعرض أخى عليها يوماً أن يعمل و يحمل عنها حملها الذى أنقض ظهرها ترفض بعناد و إصرار تربت على ظهره بحنان تقول له سأدعك تحمله عنى حين تكبر و تصير رجلاً

اشترت ماكينة خياطة بالتقسيط و قررت بعدها فجأة أنها ستبدأ عملها فى البيت تنكفئ على الماكينة معظم ساعات النهار تساعدها أختى أساعدها أنا و أخى فى الأشياء الصغيرة نسرج نرفو نثبت الزراير فى الفساتين نطهو نمسح فى بعض الأحايين نسهر معاً الليالى كفريق متناغم تمرض شقيقتى بالحمى الشوكية و هى فى نهاية مرحلتها الثانوية لا يمهلها المرض القاسى فتموت وا حسرتاه – بعد أيام قلائل يحيط الأسى على ساحتنا مقيماً لا يبرح تبكى أمى كثيرا تكف بعد شهور عن الخياطة تماما بعد غيبة أختى الأبدية تلبس منظاراً بعد أن أجرت فى عينيها عملية جراحية لإزالة المياه البيضاء « الكاتاراكت Cataract» يتخرج أخى من كلية الطب تظل تبكى كلما رأته فى هذا اليوم السعيد كان فرحها العجيب لا يعبر عن نفسه إلا بالبكاء الحارق كانت تمسح دموعها الفرحانة بطرف طرحتها و تقول له مربتة على كتفيه « عشت يا ابنى لما شفتك دكتور .... الحمد لله » ينحل جسدها كثيراً و تبدو مع الأيام منحولة ممصوصة كعود القصب

تصاب بروماتيزم المفاصل فى ركبتها تتوكأ على عصا فى سيرها داخل الشقة تستعين بالصبر و الصلاة حين تمرض و تلازم الفراش نفقد أنا وأخى مذاق الحياة نحيطها بالحب و نرعاها أتخرج من كلية الهندسة قسم الإنشاءات يتزوج أخى بعد تخرجى بعام ودعته أمى و هو يخرج من بيتها بالبكاء و كأنها تودعه مفارقاً بلا عودة يستمر أخى فى علاقته بنا يزورنا دوماً مع زوجته ثم يأتى بعد ذلك وحده يكثر عليه العمل و يزداد تقل زياراته بعد أن انشغل بعيادته الجديدة تتألم أمى حين أتغيب فى الخارج طويلاً تقول لى بصوتها الواهن الرقيق « تذكر يا بنى أننى فى غيابك أكون وحدى » و تظل تشكو من الوحدة كثيراً تحكى بلذة عن أيام طفولتها و صباها ... حين أجلس إليها تنسى فتعود تحكى لى عن تلك الأيام البعيدة و السعيدة من حياتها من جديد حين بدأت خطوات الزواج تكالب عليها الشرود أسالها : فيم تفكر ؟ تبتسم و تغمغم بكلام لا أفهم منه شيئا و لكنها أبدا لا تذكر السبب و لكنى مع ذلك كنت أحزر السبب أنها تحس أنها ستفقدنى وشيكاً بالزواج قبل الزواج بشهرين صارحتنى بخوف و انكسار

- كيف أعيش وحدى من بعدك ؟

قلت لها و أنا أحتضن كتفها ؟

- ستعيشين معى بإذن الله فاطمئنى

قالت لى بصوت أوهنه القلق و طول التفكر

- و زوجتك هترضى أن أعيش معها

- ستعيشين معى رغم كل شىء

تأوهت و هزت رأسها النحيل

- لا أريد أن أكون سبباً فى خراب بيتك أنا لا أطمع منكما إلا فى مكان

صغير حتى و لو كان فى المطبخ أضع فيه جنبى و أستريح عليه بقية أيامى فالوحدة يا ابنى و أنا كبرت و عجزت صعبة مميتة صدقنى ربنا يبعدها عنك

بكى قلبى يومها وعدتها وعد الصادقين أن تكون معى حتى لو انطبقت السماء على الأرض أتزوج ترفض أن تنتقل معى إلى الشقة الجديدة خلال الأيام الأولى من زواجى أتناوب على زيارتها مع أخى أقوم بزيارتها فى كل يوم تصحبنى زوجتى أحيانا أسافر بعد ثلاثة أشهر من الزواج أترك أمى أمانة حبيبة عند أخى و تعود زوجتى إلى بيت أبيها الكائن فى نفس الحى أسافر بصحبتى كل الاطمئنان يسلمها أخى يا خسارة إلى ذلك الملجأ بعد شهور قليلة آه يا ربى

نسيت أن أسأله متى ذهب بها إلى هناك ؟ و لماذا لم يخبرنى أبدا فى خطاباته ؟ و لكن ما نفع السؤال و ما جدوى الإجابة و أمى هناك فى الملجأ عطشى تنتظر من يسقيها ماء الرحمات

تنحنى بنا السيارة إلى طريق جانبى طويل تنهبه فى سرعة قرب نهايته تتوقف تماماً يتنهد أخى بعد صمتنا السئيم الطويل

- وصلنا و الحمد لله

و أشار بيده إلى مبنى عن يمينى

- هذه هى المضيفة يا سيدى

أفتح باب السيارة و أخرج أتطلع إلى المبنى مبنى جميل يتألف من طوابق ثلاثة تمتد حواليه حديقة عريضة التفت نباتاتها المتسلقة حول سوره الحديدى الخارجى انتظرته حتى يغلق أبواب السيارة ضغطت بيدى على ظهرى و انحنيت بجذعى كله إلى الخلف أحس بتعب شديد يثقلنى و يكاد يسقطنى على الأرض انهاكا قرب باب

البوابة الضخم ثبتت لافتة مستطيلة من الرخام قرب نهاية العمود الحجرى كتب عليها « دار الضيافة » و تحتها و بخط أصغر كتبت كلمة (للمسنات ) وقف لتحيتنا بواب الدار صافحه أخى داعبه بكلمة و ابتسامة فى الطابق الثانى سرنا فى ردهة طويلة صفت على جانبيها عنابر الإقامة و بعض الكراسى الجلدية كنت أمشى على يساره مبيحا لنفسى أن أتلصص بنظراتى عبر العنابر المفتوحة الأبواب لأرى بعين رأسى كيف يجتمع الإنسان الوحيد بالإنسان الوحيد كانت ثمة سيدات يجلسن على الأسرة يتحدثن بصوت مرتفع و أخريات مثلهن راقدات على جنوبهن أو ناعسات كان المنظر يشبه فيما رأيت المستشفى الأنيق ثم لاشىء بعد ذلك غريب أو جديد عن اليمين قرب نهاية الردهة فتح أخى بابا أفضى بنا إلى غرفة كبيرة دلفنا إلى داخلها معاً .

- سعيدة يا أبله ماتيلدا

- سعيدة ....أهلاً و سهلاً

ثم سكتت المرأة العجوز قليلا كأنها تتذكر الصوت الذى يحييها و راحت تحدق فينا ملياً من خلال منظارها السميك فجأة انبسطت أساريرها و ابتسمت أهلا يا دكتور ....خطوة عزيزة

أمسكت بإبرتى التريكو و غرستهما فى بكرة الصوف البنفسجية وألقتها بجوارها قرب الحائط و تزحزحت بعجزيها قليلا نحو حافة السرير و كأنها تستعد للحديث معنا و استقبالنا

- هل الأستاذ زميلك ؟

و رنت إلى من خلف منظارها الذى تزحزح هابطاً على أرنبة أنفها ضحك أخى المرح

- لا ...يا أبلة ماتيلدا هذا هو أخى الباشمهندس الذى حدثتك عنه

ماما كثيراً

- الباشمهندس ...يا أهلا و سهلا ..حمدا لله على السلامة

و مدت يدا غليظة تبقع جلد ظهرها بنقاط بنية صافحتها و هى تبتسم لى و كأنها تعرفنى منذ زمن بعيد

كانت أمى – و قد لمحتها حين دخلت – غارقة فى النوم على جانبها الأيسر و عصاتها البنية قد وضعتها عند نهاية السرير تحت رجليها وقد برز مقبضها المكور مطلا من حافة السرير كرأس قط صغير .. (هذه هى عادتها تماما بعد أن صاحبتها العصا فى بقية رحلتها القاسية) .. مسحتها بنظرة سريعة شاملة و هى مستغرقة فى نومها العميق .. كان جفناها الأجعدان مغلقين على عينيها الضيقتين بلا أهداب و خدها الأيمن غائرا نحو فمها الأدر كفجوة صغيرة مستديرة بينهما انفرجت شفاتها الرقيقتان متقوستين نحو داخل فمها .. أما صوت تنفسها فقد تردد مسموعا كاللهاث و صدرها الناحل يعلو و ينخفض كالكير تحت الملاءة التى تتغطى بها وضعت يدى على ذراعها هززتها .. ناديت عليها بصوت رقيق

- ماما .. ماما

قالت أبلة ماتيلدا

- نومها ثقيل جداً

ثم بصوت أجش عالى النبرات

- يا حاجة ... يا حاجة

فتحت عينيها ثم رفعت رأسها عن الوسادة قليلا

- نعم

و اصطدمت نظراتها الناعسة بمرآنا و نحن واقفان أمامها أجالت بصرها فينا لحظة ... و فجأة استوت جالسة باندفاع و لهفة

- الباشمهندس... ألف حمد الله على السلامة ... يا ابنى

انحنيت إليها بقامتى الطويلة ، فاحتضنتنى و وجدت نفسى أحتضنها هى الأخرى و أحيط ظهرها الناحل بذراعى فكأنما احتضنت طفلة صغيرة سمعت شهقاتها فى بكائها و شفتاها تتجولان فوق وجهى لثما و تقبيلا و فى لحظة خاطفة امتلأ قلبى حنينا و إشفاقا ... فوجدت عينى تدمعان فى صمت و أنا أقبل يدها حباً و اشتياقاً

- اسكت يا ابنى .. اسكت

و ربتت على يدى بيديها المعروقتين ، النافرتين بالعروق بينما سمحت لدموعها هى أن تنهمر بلا توقف

جلس أخى بجوارها متضاحكاً

- يا أخى أخذت كل السلامات ... دع لى سلاماً ، واحداً... آخذه منها أنا الآخر و مد يده إليها يصافحها ... لكنها سرعان ما أشاحت بوجهها المعروق عنه ، و عادت تلتفت إلى ابتسم أخى خجلا و قد زلزله الإحراج لوئ بشفتيه أخرج علبة سجائره و أشعل منها واحدة

- طيب يا ست – على رأى المثل – من « لقى احبابه نسى اصحابه»

لكنها لم تعلق و تزحزحت عنه قليلا حتى أولته ظهرها الناحل ابتسم مرة أخرى نهض متثاقلا من جوارها و جلس على كرسى كان موضوعا قرب الباب التفت إلى مدام ماتيلدا و سألها

- أين مدام عطية ؟

أجابته مدام ماتيلدا فى تأثر و هى تشير إلى مكانها الشاغر من

- الله يرحمها .. توفيت منذ خمسة عشر يوماً

- ياه... البقية فى حياتك

- حياتك الباقية يا ابنى

و هزت رأسها فى تحسر ، و ابتلعت ريقها بصعوبة ... ثم استطردت

- تصـدق يـا دكتـور ... كانـت فى الأيـام الأخـيرة قبـل الوفـاة يغمـى عليهـا كثـيرا و كانـت تشـكو إلينـا مـن صـداع عنيـف و دوار غريـب و حـين كشـف عليهـا طبيـب المضيفـة .. شـخص مرضهـا بـأن ضغطهـا منخفـض جـدا و أقـل أيضـا مـن المسـتوى العـادى .. المهـم ارتاحـت يـا دكتـور ... و الحقيقـة ....»

و لم تتمالـك مـدام ماتيلـدا نفسـها و راحـت تنشـج و دموعهـا كقطـرات المـاء تنحـدر عـلى وجنتيهـا الممتلئتـين جاوبتهـا أمـى فجـاة بنحيـب .... ظلـت عينـاى و عينـا أخـى تحدقـان فى المرأتـين و هـما تنشـجان قلـت مهونـاً

- كلنا لها ... فالموت حق على رقاب العباد

أخرجـت منديلهـا مـن جيـب ردائهـا . خلعـت نظارتهـا مسـحت دموعها أمسـكت بمنديـل آخـر كان فى حجرهـا و تمخطـت فيـه بقـوة أعـادت نظارتها عـلى عينيهـا و نظـرت إلينـا مبتسـمة ثـم تنهـدت فى حسرة

- أسـتغفر اللـه العظيـم المشـكلة يـا ابنـى ليـس فى المـوت ... فكـما قلـت لسـيادتك « كلنـا لهـا »

قلت مبتسماً كأنى أشجعها على الحديث :

- أعتقد يا أبلة ماتيلدا أنه بعد الموت لا توجد أية مشكلة

عدلت منظارها . ابتسمت

- كلامك صحيح يا باشمهندس ... و لكن المشكلة.....

و سكتت قليلا .. و تنهدت

- ماذا أقول لك ؟

قلت لها ضاحكاً :

- قولى : عن المشكلة

- الذى أقصده هو مشكلة الأحباء فى الحياة

ضحكت من قولها

- لا يـا أبلـة ماتيلـدا ...هـذه فلسـفة ... لابـد أن أعـرف ...أرجـوك ...وضحـى لى قصـد حضرتـك

- الحالـة النفسـية .. ( قالتهـا و هـى تضغـط عـلى الحـروف ) – هـذه هـى المشـكلة التـى أقصدهـا بالضبـط ..طبعـا سـيادتك عـارف ان الواحـدة منـا جـاءت إلى هنـا نتيجـة لظـروف اجتماعيـة بحتـة لا دخـل لأحـد فيهـا أبـدا .. فمنـا التـى جـاءت بعـد وفـاة زوجهـا ... أو التـى تفـرق ابناؤهـا بالـزواج أو الهجـرة ..أو أنهـا لم تنجـب أصـلا مـن البدايـة ... أو أنهـا مثـلا ظلـت عانسـا طـوال حياتهـا حتـى دهمتهـا الشـيخوخة ... ( يعنـى.. ) إلى آخـر هـذه الظـروف التعيسـة التـى تـؤدى بالانسـان إلى الوحـدة .. أعتقـد إلى هـذا الحـد أنـت تفهمنـى .. أليـس كذلـك ؟

- بلى

- عظيـم .. ممكـن تتعجـب و تسـألنى الآن .. أيـن تقـع المشـكلة ؟ ! مـع أن كل شىء يمـضى فى طريقـه كأى شىء طبيعـى

- يبدو و أن الحل الأوفق لكل هذه الحالات هو الإقامة فى مضيفة أية مضيفة ضحك أخى فجأة

- يا خبر يا أبلة ماتيلدا

ثم نظر إلى ضاحكا

- انظر كيف سارت بك خطوة . خطوة. و زحلقت رجليك و القتك فى داخل المشكلة بلا رحمة .. أنا شخصيا لا اندهش من أبلة ماتيلدا ..فهى كما ترى قوية الإقناع .. و تجيد الشرح ، و التفهيم ، و كم من المرات أفحمتنى ... و أسكتتنى بل قل أخرستنى ..بقى لك أن تعرف – حتى لا تندهش بعد ذلك- أن أبلة ماتيلدا كانت مديرة مدرسة ثانوية، و لذلك فهى تمارس علينا مهنتها الخطيرة بخبرة و اقتدار .. وطبعا وقعنا تحت أيديها و نحن مساكين ، و غير مسلحين بقوة حجتها .. فرصة يا عم ...

ابتسمت مدام ماتيلدا . ردت عليه مازحة

- أنت تلميذ مشاكس .. افهم و انت ساكت ، و إلا ناديت لك ناظر المدرسة . رفع أخى كف يده مفرودة إلى جبهته محييا تعظيم سلام

- سمعا و طاعة يا أبلة

ضحكنا جميعا .. حتى أمى حاولت أن تدارى ابتسامتها عنه فلم تفلح ...ضغطت أبله ماتيلدا منظارها على أنفها بإصبعها . استطردت بعد هنيهة ، و نحن كلنا نبتسم.

- المشكلة يا باشمهندس . إن الواحدة منا تستقبل فى الحجرة زميلة لها أو زميلتين حسب حظها و كل واحدة كما تعرف لها طبع ، و عادات ، و ميول تختلف عن الأخرى حسب البيئة و التربية طبعا .. هذه المشكلة ، و لو أنها صغيرة بالنسبة لى أنا – ألا أنها تمثل مشكلة

صعبة فى نظرنا جميعا – فهى تبدأ إذا توفيت زميلة لنا .. كوفاة «مدام عطيه » مثلا على ذلك السرير الذى نقلوه .. فكل منا تحس فى هذه اللحظة ، أن الدور عليها قادم ، و ما عليها سوى الانتظار الهادئ خصوصا و أننا بلا استثناء جئنا هنا و الحمد لله محطمات تماما ... سيادتك عارف طبعا .. اننا جميعا مسنات و أتينا إلى هنا محملات بكل أمراض الشيخوخة المزمنة .. مثل السكر ، تصلب الشرايين ، ضغط الدم ، الروماتيزم .. إلى آخر القائمة المرعبة التى أنت أدرى بها يا دكتور.

- هذا صحيح .. و لكن الأعمار كما تعلمين بيد الله و كم ....

قاطعتنى بسرعة.

- نعم ...نعم. هذه حقيقة كلنا نعرفها ، و لا جدال فيها .. و كل واحدة منا جاءت إلى المضيفة ، و فى حياتها فواجع من فقد الزوج أو الأبناء .. فالموت ليس غريبا عليها أبدا فهى قد رأته يتخطف أحبابها .. و إلا فما الذى جاء بها إلى هنا ... لكن الحالة النفسية .. أنا أتكلم عن الحالة النفسية .. أنا ساعات يا باشمهندس أحس.. و سأكلمك بصراحة أن الدور قرب منى خصوصا ، و أنا واحدة قديمة هنا ....لا.....لا..... مستحيل أشرحها لك ....هذه الحالة يحسها الإنسان فقط ، و لا يجدى عنها فى وصفها بالكلام

كانت أمى جالسة عند حافة السرير ، و منظارها السميك على عينيها ، تصغى بانتباه شديد إلى كلمات زميلتها فى الغرفة ، و بين الحين و الآخر تمصمص بشفتيها ، و تهز رأسها و كأنها تؤمن على كلماتها تماما ...تنهدت ، و كأنها تتألم . تكلمت أخيراً بعد إصغائها الطويل .

- أنا يا ست ماتيلدا . تعبانة هنا و الله ، و ربنا عالم بى ، و ما كنت أحسب أن آخرتى ستكون هنا

نظرت إليها أبله ماتيلدا فى إشفاق

- عارفه ...عارفه و اللـه... أنـا فهمـت الباشـمهندس منـذ لحظـات عـن حالـة أى واحـدة تحـضر هنـا ... أنـا أعـرف أيضـا أن نفسـيتك تعبـت جـدا ، حـين رأيـت مـدام عطيـه تحتـضر قدامـك ... و أظـن أن الدكتـور عـرف الآن لمـاذا أنـت واخـدة عـلى خاطـرك منـه .

قاطعتها أمى كأنها ، قد ارتاحت لكلماتها .

- كلامـك معقـول يـا سـت ماتيلـدا .. طيـب انـت لـك ظروفـك التـى حكيتهـا لى وأنـا. يـا سـت ماتيلـدا- التـى أنجبـت ولديـن ، و تعبـت ، و ضيعـت كل عمـرى ، و رقـدت عـلى ماكينـة الخياطـة عشريـن سـنة ..آخرتهـا أترمـى هنـا كأنى لا أنجبـت و لا شـقيت .. يـا حـسرة .. عـلى رأى المثـل : « ربى يـا خايبـة للغايبـة » ربيـت « و جـت النسـوان لهفتهـم منـى» .. الدكتـور الـذى صرفـت عليـه دم قلبـى فى الكتـب و اللبـس ... اسـأليه .. اهـو قاعـد قدامـك و عامـل كبـير و محـترم ..إيـاه أن ينكـر ...طلـع يـا خسـارة خائـب و راجـل ندل...رمـانى مثـل الكلبـة عـشرة أشـهر ، و كل شـهر يـزورنى كالمسـجونة .. يدفـع المصاريـف و يتـوكل عـلى اللـه و لا اشـوفه إلا كل شـهر مـرة . شـفت.. بيدفـع مصاريـف الراحـة منـى ..يـا سـت ماتيلـدا ... و لم تكمـل ، و انخرطـت فى بـكاء أشـبه بالعويـل ..نهـض أخـى متاثـراً . أمسـك برأسـها و قبلهـا عـلى جبهتهـا

- اسـكتى يـا ماما ... أنـا آسـف ...أنـا و اللـه معـذور ... حاولـت فى كل مـرة أن أرضيـك و أرضى زوجتـى ففشـلت .. مـاذا كان فى وسـعى أن افعـل ؟!

ردت أمى من خلال دموعها ، بصوت ضخمه الغضب .

- زوجتـك غلطـت فى حقـى أكـثر مـن مـرة ، و انـت تبلـع يـا دكتـور يـا محـترم يـا ابـن ..... .

- و الله دائما كنت أكلمها عنك يا ماما صدقينى .

ضربته أمى فى صدره

- ابعد عنى ... تكلمها عنى .. أنت راجل ندل تحكمك امرأة يا خسارة

ابتعد أخى واقفاً

- عيب يا ماما .. ليس هنا مكان الحساب

- عيب !!.. أنت تعرف العيب ... أنت ... طيب ما دمت تعرف العيب ، و فاهم كل حاجة ... قل لى ، لماذا كنت تجيئ كل شهر تزور أمك يا دكتور ؟

- وقتى لم يكن يسمح يا ماما صدقينى .. أنت عارفة . تعب فى المستشفى و تعب فى العيادة . ردت أمى ساخرة ، و هى تضرب كفاً بكف .

- وقتك لا يسمح .. يسمح لزوجتك فقط .. « اسفخص » عليك راجل ... راجل ندل بصحيح

و تفلت على الأرض ناحيته .. ابتعد أخى تجاه الباب كأنما ينوى الخروج رفع ذراعه عاليا ، و استند به على الباب . تساقطت نظراته الخجلى إلى الأرض . تابعت أمى حملتها القاسية عليه

- لقد أسقطتك من حياتى ابناً ... لست انا أمك . إن أمك هناك فى البيت ، فاذهب إليها يا شاطر ...اذهب

ابتسمت مدام ماتيلدا ابتسامة متغضنة . عدلت منظارها ، قالت لأخى و هى تشير إلى أمى :

- واخدة على خاطرها منك يا دكتور – ما علهش – لا تغضب – إن

صياح الأم صوت أجوف أشبه برنين الطبول – تسمعها صحيح عالية ، صاخبة ، لكن الذى يوقع عليه فى النهاية قلب كله المحبة و الحنان .. أرجوك – اذهب إليها و صالحها

ابتسم أخى . اتجه إليها صامتا كطفل أذنب . أمسك بكفها المعروقة . رفعها إلى شفتيه فى حنان و لثمها . استكانت أمى لقبلاته . هزت رأسها و الدموع تنحدر على خديها المتغضنتين

- قلبى على ولدى انفطر ، و قلب ولدى على حجر .

هللت مدام ماتيلدا بفرح منتصر .

- الحمد لله . صافي يا لبن . ألم أقل لك يا دكتور مهما توعدت الأم و هددت فلا تصدقها أبدا

ردت أمى و هى تتنهد

- آه يا ست ماتيلدا... الإولاد كلهم قرف ، و تعب متعبون و هم صغار متعبون و هم كبار ، أشاحت ابله ماتيلدا بذراعها السمين القصير .

- اسكتى يا شيخة .. اسكتى .. الأولاد متعبون .. من قال هذا ؟ ...أنت عارفة هذا الشجار بينكم فيه تسلية و فيه أيضا ترفيه .. يكفى إنك تحسي فى النهاية إنك لست وحدك فى هذه الدنيا الموحشة ... الأولاد متعة ، و اسألينى أنا . أنا الذى عشت عمرى كله بلا أولاد .. مات الرجل – الله يقدس روحه – و أصبحت فى الدنيا كلها وحيدة ، و حرة تماما .. ثم تقولين أن الأولاد متعبون ... الوحدة مرة و صعبة وتجربة رهيبة – يا جماعة – لا يعرف طعمها المرير إلا من عاشت مثلى وحيدة ... و لكن أرجوك اياك أن تظنى أنى أحسدك ... لا و الله ... أنا فقط أغبطك . قهقه أخى ضاحكا . قال لأمى و هو يجلس بجانبها

و يحيـط ظهرهـا بذراعـه :

- يعنـى يـا ماما – أبلـه ماتيلـدا- كانـت تتمنـى أن تكـون مثلـك ، و لهـا ولـد مقـرف و متعـب مثـلى تمامـا

مصمصت أمى بشفتيها

- لا حـول و لا قـوة الا باللـه .. ربنـا كرمـه واسـع يـا سـت ماتيلـدا ، قـادر يعوضـك بالخـير ، و السـعادة .. هـو عـالم و غـيره مـا يعلـم يـا اختـى .

أحسســت المــرأة العجــوز بالاشــتياق ... جعلتنــى كلماتهــا البائســة المحزونـة أتعاطـف معهـا و أرثى لهـا ... فأنـا عائـد مـن بلـد عشـت فيهـا أيامـا خرافيـة الألم كالتـى تعيشـها العجـوز المسـكينة . عشـتها وحيـدا . بعيـدا عـن الأهـل ، و الصحـاب ، و مـا أكـثر الأيـام التـى كان ينتابنـى فيهـا هـذا الشـعور القـارص بالوحـدة ، و مـع أننـى كنـت أعيـش مرفهـا فى شـقة حديثـة . هواؤهـا مكيـف ، و فيهـا كل آلات البيـت الحديـث ، إلا أن وحـدتى التـى كنـت أجـدف بهـا فى بحـر الليـالى الطويلـة ، كانـت هـى جحيمـى وعـذابى يكفـى أنهـا جعلتنـى أبغـض كل شىء ، و لا أحـس لـه طعـما ، و لـو كان هـو النعيـم المقيـم ...لا ... لا تجـوز المقارنـة بـين حيـاتى و حياتهـا .. لقـد كان فى حيـاتى أمـل أى أمـل . أمـا هـى المسـكينة فـإنى لهـا الأمـل و كيـف سـيأتيها و العمـر بهـا يتدهـور إلى حضيضـه المحتـوم .

سألتها و ثمة شىء فى أعماقى يتجاوب معها

- أليس لك احد من الأهل يسال عنك يا أبله ماتيلدا . ؟ !

نظـرت إلى برهـة مـن خلـف منظارهـا السـميك و الحـيرة تتلاعـب عـلى صفحـة وجههـا المتغضـن .. سـكتت مليـا . أحسسـت بالأسـف لسـؤالى الموجـع

- أنا آسف يا أبلة ماتيلدا ...فما...

قاطعتنى مبتسمة

- لا تأسف و لا حاجة .. سأقول لك .. لى أهل بالطبع .. هل تظن يعنى أننى مقطوعة من شجرة ... طبعا مستحيل

ثم تنهدت كمن تأسى على شىء

- لى أخت واحدة أصغر منى بخمس سنين تعيش فى أسيوط و أخ أكبر منى فى القاهرة دائما مريض .. فى المدة كلها التى عشتها هنا وهى تقريبا خمس سنوات لم يزورنى فيها سوى ثمان أو تسع مرات ... هل تصدق ؟ ...أما الأولاد أقصد أولادهما فنادرا ما يخطئ الواحد منهم و يقوم بزيارتى و لو مرة واحدة

و تندت عيناها بالدموع ، ثم استطردت و يداها تعبثان فى ردائها

- جيل جديد لا تهمه العواطف أبدا مع أنى و الله غير محتاجة لشىء أبدا سوى أن أراهم و أطمئن عليهم ... و لكن الحمد الله . ربنا عوضنى بكل شى جميل فكل السيدات فى المضيفة ، أعتبرهن أخواتى ، و قريباتى ... أنا أصلا مهذبة مع الكل و أعتقد أننى محبوبة إلى حد ما ..أمك ربنا يعطيها العافية و يبقيها لكما ذخرا « .. أعتبرها – بحق المسيح- أختى ، و أحسن من أختى أيضا ...يكفى أنها كانت تقف بجانبى كأحسن و أحن أخت حين أمرض ... يا سلام ...الحمد لله ...أنا ساعات أحس أننى أعيش فى عز لو أدركه الملوك لقاتلونى عليه . و تضاحكت عن أسنان قليلة مهشمة

- نعم يا باشمهندس ...صدقنى أنا أعيش فى عز و احترام ، و صداقة ... فقل لى بعد ذلك هل هناك شىء فى الدنيا أفضل من هذه الاشياء كلها

قلت مندفعا بسرعة الحماس

- لا أظن

ثم أخذتنى نفسى بعيدا عن المكان و الزمان ...هل أصدقها فيما تقول و تزعم ؟! شيء فى أعماقى لا يصدق .. إنها حقا تتكلم عن الصداقة ، و الاحترام كبديل عن حب ذوى قرباها - إلا أنها مع ذلك - و هذا ما أحسه صادقا فى كلامها - تعانى من وحدة بشعة مفزعة ، فطريقة شرحها المتحمسة عن المضيفة ، و عن المقيمات فيها دليل صدق على فكر قد انشغل منذ زمن بعيد بالوحدة بل الموت ، و إذا كانت هى تعتبر نفسها صديقة للجميع كما تزعم ، فهى محاولة التائه الثاكل للانتماء بعد فقد الأهل و الأصدقاء

آه - أيتها العجوز المسكينة ... ماذا أقول لك ؟ و ماذا أستطيع ؟ و الكلمات مهما رقت لك و تعطرت لا تجديك نفعا عن قلب إنسان حنون عاشت أمى المسكينة لابد كل هاتيك الشهور بهذه الأحاسيس القاتلة ... لم تستطع أن تعبر عن نفسها كما فعلت زميلتها المعلمة ، الفصيحة ، و حين جاء الدور عليها لتعبر عن المكنون فى نفسها .. عبرت بالثورة على ابنها الذى كان هو السبب ...لا يا أمى ...لا...

لا تخشى شيئا بعد الآن فسأكون دثارك من ثلج الحياة طوال ما حييت ... فاطمئنى . اطمئنى

- هيه ... صح النوم يا عم ... «أصاح أنت أم فؤادك غير صاح » ؟

قالها أخى و هو يخبطنى بكف ثقيلة على كتفى . فزعت و كأنى حقا كنت نائما ابتسمت و نهضت مسرعا و قد اعتزمت أمرا لا رجعة فيه

- لا ...تعال معى نبلغ إدارة المضيفة بأننا سنأخذ ماما معنا ونهضت فى حسم ثم التفت إلى أمى

- و أنت يا ست الكل ...استعدى للذهاب معنا حالا

فتحت فاها الأدر مشدوهة

- إلى أين سأذهب ؟!

- إلى أيـن ! ... سـتذهبين معـى طبعـاً ، و لـن أتـركك وحـدك أبـدا بعـد اليـوم و كان وداعـا ... نهنهـت فيـه أبلـه ماتيلـدا كـما لـو كانـت تبـكى كل عمرهـا المديـد الوحيـد ... قالـت و هـى تحتضـن أمـى بحـب حقيقـى

- كلـما ارتبطـت مـع إنسـان أرغمتنـى الظـروف أن أعيـش مـع نفـسى وحيـدة مـن جديـد ... مـع السـلامة يـا اختـى .. مـع السـلامة

و انثالت عبراتها كاسحة وجنتيها الممتلئتين

- لا تنسوا ( يا أولاد ) أبله ماتيلدا

و قبلـت كلا منـا عـلى جبهتـه .. ثـم عـادت مـرة أخـرى تبلـل أمـى بالدمـوع

- أنا أنتظر زيارتك لى فى أى وقت ..مع السلامة..مع السلامة

بـدأت أمـى تصافـح نزيـلات الـدار و تعانقهـن و كانـت قبـلات و عـبرات و رفرفـت بأجنحتهـا كلـمات الوداع

و السـلامة مـن حولنـا و راح بعضهـن يمشـين معنـا فى الردهـة الطويلـة و ينـزل معنـا السـلام فى تظاهـرة شـعارها الحـب و الصفـاء تقودهـا أبلـه ماتيلـدا بجسـدها اللحيـم القصـير نظـرت خلفـى متعمـداً فرأيتهـن مسـنات كلهـن درداوات ممصوصـات أرجلهـن المريضـة تنـوء بحملهـن يتمايلـن تعبـاً أو مرضـاً .. لكـن قلوبهـن التـى عصرهـا الزمـان و صفاهـا عـادت فامتـلأت بالحـب المصفـى مـن جديـد

قلت فى نفسى و نحن نقترب من السيارة

- برافو يا ماما .. لقد زرعت لنفسك ورود الحب فى القلوب

و التفت خلفى .. كانت أبله ماتيلدا واقفة بين صويحباتها تعتصر عينيها بمنديلها رفعت لها يدى أحييها .. و فى قلبى رثاء لها و حزن كالرصاص ثقيل ... و انطلقت بنا السيارة تجرى .. عندئذ أحسست إحساس اليقين أن قصة أخى ستعود لتكرر نفسها معى ، فالمسرح الملعون مستعدة خشبته الجهنمية اليوم أو غدا ليمثل عليها أبطال جدد نفس المسرحية القديمة قدم الزمان و المملة ملل الأيام ...آه يا رب ... هل أخطأ أخى حين أبعد أمه عن ساحة القتال ..إننى الآن لا أكاد أكن له أى غضب فقد زالت الفورة و جاء دور التعقل ...ها هى ذى أمى الآن أمامى تواجهنى بظهرها الناحل و أنا الآن أصحبها معى لأتحدى بها العالم – عالمى .. آه لو أستطيع أن أحتفظ لنفسى بحبين وحبيبتين لكنت أسعد العالمين طيراً .. الحق أقول أنا خائف من شىء مبهم يحلق فوق رأسى و يحوم كصقر جارح ...أعلم أنه سوف يهوى ليخطف منى أمنى و سكينتى ، قلبى أحسه فى تلك اللحظات يغرق . إنه يغرق بالفعل فى مستنقع الكآبة ... أنا الآن متعب جدا حزين جدا و زوجتى أعرفها تماما كما الأشياء التى أعرفها فى جيبى فمع أننى لم أمكث معها سوى ثلاثة أشهر و بعدها سافرت إلى الخارج إلا أننى خلال معاشرتى لها عرفت عنها أنها لن تقبل فى بيتها أحدا سوانا .. نعم عرفت ذلك و وعيته منذ أن لمحت لها فى أول أيام زواجنا بأننى أرغب فى أن تكون أمى معى . صحيح أنها لم تواجهنى برفضها الصريح المباشر .. لكنها قالت لى و مازلت أذكر قولها كما لو كانت قالته بالأمس فقط

إن الحياة الزوجية تنمو و تترعرع كلما امتنع عن التدخل فيها أحد الأطراف الأقوياء و مع أننى أؤمن بقولها و أصدقه إلا أن أمى يا زوجتى ليست طرفاً يتدخل إنما هو وجود حى يطلب الأمن

كانت السيارة تنطلق سريعة كالخيال عبر الشوارع و صوت الراديو فى داخلها يجلجل بأغنية مشهورة ...لم أسمعها من فرط ذهولى و تعبى و انشغالى ...قلت فى نفسى : « يا أخى ليحدث ما سيحدث ...فأمى أولا ثم تترتب الأشياء بعد ذلك .

فى المساء ...حين غلقت علينا الأبواب .. و نامت أمى على فراشها فى حجرتها التى اختارتها لها زوجتى ، و هى حجرة صغيرة لا بأس بها مع ذلك ، و إن كانت تطل بنافذتها الوحيدة على منور البيت ، استلقيت على ظهرى فى الفراش و مع أننى متعب جدا ، و لم أنم خلال هذين اليومين ، إلا أن القلق كان يطن بصوته اللعين فى دخيلتى كنحلة شائلة ذنبها و تنذرنى بلسع وشيك استدرت على جانبى الأيمن أخذت أنظر إليها و هى تجلس امام السراحة تمشط شعرها . ابتسمت لى أمام المراة .. التفتت إلى و قد زادت ابتسامتها اتساعا و إشراقا

- يا سلام ..لماذا تنظرنى هكذا كأنك ستأكلنى ...هل أعجبك إلى هذا الحد ؟

ثم هزت رأسها فى حركة رشيقة ، فانزاحت خصلة من شعرها الناعم عائدة على رأسها من جديد

نهضت و فى يدها زجاجة عطر فواح أخذت تميل فتحتها على سبابتها و تمسح بها خلف أذنيها و على رقبتها و تحت أنفها مالت إلى و قبلتى مسحت على وجهى بعطرها و أنا أجاهدها ضاحكا مصاخبا لأحول بينها و بين وجهى

- يا شيخة هذا عطر نسائى هو خاص بك وحدك

جلست على حافة السرير شدت شعرى المتهدل على الوسادة

- لا أحب أن أراك أنت .. بل أحب أن أراك نفسى و روحى ثم تفوح

منـك رائحتى

ثـم نهضـت لتضـع زجاجـة عطرهـا فـوق السراحـة و عـادت – لكنهـا – توقفـت فجـأة فى منتصـف الغرفـة

- لك عندى عتاب و سؤال

نهضت قليلا اعتمدت راسى بذراعى انتابتنى المخاوف

- أمـا العتـاب فأنـت جئتنـى ثانيـا و كان الصـواب أن تـأتى إلى أولا ثـم تذهـب إلى ماما بعـد ذلـك – مـا رأيـك ؟

قمـت جالسـا قلـت فى نفـسى لم تصـبر العنيـدة جـاءت إلى بفرسـها وسـيفها و مـع ذلـك ابتسـمت اسـتطردت :

- « و مع ذلك فأنا سامحتك »

- طيب و السؤال

- السؤال !!.. أرجو أن تجبنى عليه بصراحتك التى عودتنى عليها

- طبعا أنا صريح و انت عارفة

- أمك !. هل ستعيش معنا؟

أغاظنـى السـؤال جـدا قلـت بصراحـة و أنـا أكظـم غيظـى الذى اسـتيقظ كالثعبان

- نعم

- على طول ..؟!

- على طول

تشاغلت بيديها تعدل الروب و تحبكه على جسدها

- طيب .. و الدكتور..

قاطعتها و قد فهمت ما ترمى إليه

- لن تعيش معه

ثم ابتلعت ريقى كغصة

- ستعيش معى أنا

قاطعتنى فى إصرار

- تقصد معنا

- نعم ستعيش معنا

حدقت فى عينى مغتاظة

- و لكننا كما تعلم ما زلنا عروسين جديدين

- و ماذا يمنع أن نكون دائما عروسين ؟

- اسمع .. ألا ترى أننى أبدو و كأننى غير متزوجة ...تزوجتك ثلاثة أشهر ... ثم غبت عنى مسافرا عاما بطوله ، و ها أنت ذا تعود فى أجازة لمدة شهرين ثم تعود عنى مسافرا من جديد ..حتى عودتك جاءت بقيد ثقيل على حريتى نهضت جلست على كرسى الفوتيل صمتت قليلا كان منطقها قويا و وقحا معا فتحت شفتى جاهدت أن أسوى منها شبه ابتسامة

- أما عن سفرى مرة أخرى .. فاطمئنى لن أسافر و سأظل معك دوما

- و لماذا لن تسافر مرة أخرى ؟

- السبب ببساطة ..أننى تعبت جدا و لو لم أعش فى صحراء لأخذتك

معـى تؤنسـين وحشـتى ..ثـم إن المبلـغ الـذى عـدت بـه لا بـأس بـه مـع ذلـك و يجعلنـى أنهـض بـلا تعـثر

- كنـت أكـذب عليهـا .. خشـيت أن أقـول لهـا لـن أسـافر مـن أجـل أمـى فأكـون كمـن يؤجـج النـار بوقـود جديد

- طيـب ..ليـس هـذا مهـماً الآن ..أمـك .. أريـد أن أعـرف كيـف تحـل مشـكلتها ؟

قاطعتها متجديا .. أنشب الغضب الجبار مخالبه فى أعماقى

- اسـمعى لتكـن أمـى مشـكلتك و مشـكلتى ...سـاعدينى بـدلا مـن اتهامـى

رفعت صوتها فى حنق

- لها ابن آخر غيرك

- زوجته تقول نفس كلماتك ...فأين تذهب أمى

تعالت بصوتها من جديد

- العدل أن تعيش مع ابنها الأكبر

تنهدت فى أسى غضضت من صوتى

- لا ترفعى صوتك أرجوك ...فمن الممكن أن تسمع حوارنا

ثم جالسا على السرير مرة أخرى

- إنهـا ليسـت مشـكلة أمـى وحدهـا إنهـا مشـكلة كل أم أنجبـت وتـزوج أبناؤهـا نفـس المشـكلة .. قـد تتعرضـين لهـا أنـت فى مسـتقبل أيامـك .. فاخـشى يومـا هـو آت إليـك لاريـب فيـه

- اسـمع .. دعـك مـن هـذا الاسـتجداء الرخيـص بالعواطـف ... سـأكلمك

بعقـل.. فاصـغ إلى .. كان المفـروض أن تتركهـا فى دار الضيافـة و نحـن كنـا سـنكون أقـرب إليهـا مـن أى وقـت مـضى

- يا زوجتى العزيزة

و هنا ارتفع صوتى رغما عنى

- اعلمـى و تأكـدى .. أننـى طالمـا كنـت حيـا .. فلـن أتـرك أمـى تشـقى .. إن الجالـس أمامـك الآن و الـذى كنـت تفخريـن بـه خطيبـا و زوجـا هـو نبتـة مـن زرع يديهـا .. إن المـرأة لم تفعـل مـن جريمـة سـوى زراعتنـا فى أرض الحيـاة و رعايتهـا لنـا بعمرهـا و سـقيانا بعصـير صحتهـا .. هـل يكـون جزاؤهـا أن نجتثهـا مـن جـذور الحيـاة .. و بأيـدى مـن ؟! بأيـدى أبنائهـا .. هـل ترضـين ذلـك ؟

- هـذا الـكلام- قلتـه لنفسـك أنـت و ليـس لى .. إنهـا مشـكلتك بالدرجـة الأولى

- و مشـكلتك أنـت ايضـا .. فـما دمـت قـد تزوجتنـى فأنـا و مـن حـولى مشـكلتك كـما أنـت و كل مـن حولـك مشـكلتى

- و الحل !!!!!؟؟

- قلته لك ... لن أترك أمى تلقى مصيرها وحدها مهما يكن الأمر

- اسـمع لـن أرضى بهـذه الحيـاة .. أنـا أرفـض تمامـا حيـاة يشـاركنى فيهـا أى إنسـان آخـر ... حتـى و لـو كانـت أمـى أنـا

و هبـط علينـا صمـت ثقيـل الوطـأة فتحطمـت الكلـمات بيننا وسـقطت شـفرة خفيـة عـلى نسـيج حبنـا تنتظـر يـد غضبـى تحركهـا لتمزقـه بطولـه ليكـون بيننـا الانفصـال نعـم وصلنـا معـا إلى طريـق مسـدودة هـى عنيـدة و أنـا عنيـد هـى معـذورة و أنـا معـذور و الواقـع هـو الواقـع و هـذه هـى

أمـى واقعـا قائمـا يهتـف بالحـل العاجـل أحـس بالإشـفاق عليهـا أمـى ثمـة حـزن يـسرى فى عروقـى و روحـى لم أكـن أتوقـع أبـدا أن تكـون أمـى يومـا مشـكلة فى حيـاتى و حيـاة أخـى أتذكـر الآن فجـأة كلماتهـا لى و لأخـى منـذ خمسـة عـشر عامـا

- ستتزوجان يوما و سأضيع بينكما

و يرد أخى واثقاً و هو يربت على ظهرها بحنان

- تضيع كل الأشياء و لا تضيع أمى

و تهـز أمـى رأسـها و تمصمـص بشـفتيها كأنهـا تحـدق إلى مسـتقبلها البعيـد

- يا ابنى « بنات النسا كلهم قسى »

لا أذكـر بعـد ذلـك بقيـة الحديـث أنسـانيه الزمـن و هـذا هـو أخـى قـد رسـب فى الامتحـان ...كان حماسـه ...حـماس مـن يقـف عـلى سـاحل البحـر و يظـن فى نفسـه القـدرة عـلى السـباحة .. إن الواقـع – يـا نفـسى – بحـر متلاطـم بالأمـواج أبـدا و قليلهـم مـن يجيـدون السـبح فيـه

نظـرت إليهـا .. كانـت نظراتهـا تنسـكب عـلى صـورة زفافنـا الصغـيرة فى إطارهـا الفـضى عـلى السراحـة كانـت شـفتاها مزمومتـين تمامـا .. هـل تراهـا تحـس مثـلى بخطـورة أى كلمـة تطلـق مـن الفـم إن الكلـمات التـى سـتنبجس مـن أى حلـق فى تلـك اللحظـات هـى رصاصـات تنتظـر إذا خرجـت نفـذت و مزقـت ثـم بسرعـة الـبرق أنهـت

- آه يـا رب هـذه المـرأة العنيـدة التـى تجلـس عـلى بعـد خطوتـين منـى ..أحبهـا . حبـا يمـلأ قلبـى و يـسرى فى دمـى ..لـو أنهـا تركـب القـارب جانبـى و تـدع أمـى تركـب معنـا إذن لـصرت ملاحـا بـل ربانـا و سـأقود القـارب مهـما تلاطمـت بنـا الأمـواج ... إنكـما عزيزتـان عـلى جـدا يـا أيتهـا

المرأتـان لا سـعادة لى مـن دونكـما ...فلـماذا يـا زوجتـى تحاصرينـنى لأختـار .. والاختيـار بينكـما صعـب جـدا و مريـر

- قبل أن يطلع الصباح ..أريد أن أعرف أرضا أستقر عليها

هـى التـى تكلمـت . يـا رب أعنـى . فضلـت أنـا الصمـت المشـحون عـلى هـذا الـكلام الملعـون ابتسـمت عـلى ابتسـامتى التـي تُعديهـا بالأمـل قلـت فى هـدوء جـدا و الخـوف يـتراءى أمامـى كشـبح القنبلـة الذريـة

- لـو عدلـت لأنصفـت فأنـا معـذور ..إننـى فى أشـد الاحتيـاج إليـك... صدقينـى ..أحتـاج إليـك كأمـل أبـدد بـه اليـأس احتـاج إليـك كمظلـة تقينـى قيـظ الحيـاة أحتـاج إليـك كـوردة أسـتاف منهـا العبـير

هـزت رأسـها سـاخرة لـوت شـفتيها فى امتعـاض أصـدرت مـن فيهـا صوتـا يا ئسا

- أرجـوك – تمهـلى – لا تمزقـى قلبينـا بسـكين اليـأس اصـبرى فالزوجـة الصالحـة مـن لا تحطـم زوجهـا هكـذا

- اسـمع ...لمـاذ كلكـم يـا رجـال تطلبـون مـن زوجاتكـم العقـل و المُثـل و أنتـم لا تفعلـون أبـدا مـا تطلبـون منـا

- طيب لا تغضبى فقط شاركينى الحل فى تعقل

- قلت لك الحل

- تقصديـن هـذا الحـل ...أذهـب بأمـى إلى دار الضيافـة مـن جديـد ... يفتـح اللـه يـا مـدام !

- إذن ننفصل

خرجـت الرصاصـة المسـتكينة . أصابتنـى بهـا المسـتبدة مـن غـير رحمـة حدقـت فيهـا مليـا كان الصمـت فجائيـا . اهتـز صـدرى بعنـف أعـادت

الكلمـة الشـئيمة مـرة أخـرى

- الحل هو الانفصال

ثـارت كرامتـى حسـبت أنهـا إذا أوقفتنـى عـلى حافـة البـئر العميقـة سـأرتد إليهـا مذعـورا و صاغـرا أسـتجدى منهـا الصفـح و الغفـران قلـت لهـا أقارعهـا عنـادا بعنـاد

- فليكـن هـو الحـل الـذى تريديـن ..إن لـك أهـلا هـم دثـارك و حديقتك ..أمـا أمـى فليـس لهـا مـن أهـل سـواى ..أنـت يـا عزيـزتى منـذ هـذه اللحظة طالـق ، طـلاق الأبـد و تصبحـين عـلى خـير و أنـت تمامـا حـرة مـن كل القيـود

و أمسـكت بوسـادة و دخلـت حجـرة الصالـون و أغلقـت بابهـا خلفـى و تـردد فى صمـت الليـل نحيـب كلينـا

و قد أوغل بنا قارب الظلام نحو فجر جديد لصبح جديد

**- تمت -**

# الهـــروب

- ١ -

ثـم بعـد ذلـك ، ركبـت الأتوبيـس المتجـه إلى مدينـة الخارجـة . كان الوقـت قريبـاً مـن الصبـاح ، وعتمـة الفجـر تتـلاشى في بـطء شـديد ، أمـام ضـوء النهـار الوليـد، مـضى الأتوبيـس مزمجـراً في طريـق ضيقـة رماديـة تلتـوي هابطـة صاعـدة كبسـاط طويـل بـلا نهايـة و الصحـراء تنسـاح حوالينـا بـلا حـدود . صامتـة . رتيبـة . مهيبـة بـلا شـجر و لا بـشر .. جلسـت قـرب النافـذة و منظـر سـاكن وحيـد ليـس فيـه أي شيء غريـب يلقـاني دومـاً كلـما ألتفـت و نظـرت إلى الصحـراء لم أكـن أفكـر في شيء طيلـة هـذه السـاعات كلهـا حتـى في رحلـة القطـار إلى القاهـرة لم أكـن أفكـر أبـداً بـشيء كان عقـلي – فيـما يبـدو – قـد توقـف عـن التفكـير أو لعلـه فقـط يفكـر في الحـاضر الـذي لم يتخلـق بعـد أو يبـين و كان صـوت يـتردد في أعماقـي بـأن رحلتـي هـذه هـي رحلـة هـروب قاسـية لا ترحـم أقـوم بهـا وحـدي تمامـاً بعـد تفكـير و تدبـير و تزييـف ..

الأتوبيـس يرتفـع و ينخفـض و يثـير مـن خلفـه غبـاراً رمليـاً ناعـماً يتسـلل إلينـا في الـــداخل و يسـتريح و يرقـد علينـا و يغمرنـا رغـماً عنـا و عـن النوافـذ الموصـدة و الطريـق طويلـة ممتـدة كأنهـا تمتـد إلى الأبـد الملـول لا شيء فيهـا أبـداً يجـذب أو يثـير كنـت أغمـض عينـي أحيانـا عنهـا و أروح أفكـر في الـلاشيء أو أتسـكع بـين ذكريـاتي في المـاضي البعيـد أيـام أن كنـت طفـلاً و صبيـاً و شـاباً أخـيراً وصلنـا بعـد سـبع سـاعات متواصلـة يـا اللـه ... نزلـت لا أقـوى عـلى المسـير و كأني مربـوط السـاقين و في فمـي طعـم الرمـل الناعـم كانـت الشـمس قـد تسـلقت منتصـف السـماء و تربعـت هنـاك في عليائهـا السحيـــق تلقـى بشـواظ النـار فـوق الـرؤوس و الأشـياء

تجولت بعيني .. هناك مبان حديثة جميلة و هدوء مطمئن حملت حقيبتي و ثمة حزن أسود ينتشر في أعماقي لهيباً كاوياً معذباً تنهـــــــدت

و العجز يطحنني بين قبضتيه الثقيلتين سألت عن مبنى الإدارة فدلني عليها بالإشارة رجل كان يمضى مسرعاً و يرتدى قميصاً فضفاضاً

- في نفس الشارع ، عن يمينك

و لم يلتفت إلى ... كانت الساعة قد تجاوزت النصف بعد الثانية عشرة كنت متعباً جداً ، و زادنى تعباً هذه الحقيبة الثقيلة في يدي ...كان الندم يعترينى ... و سألت نفسي للمرة الألف ...هل هو الصواب ما فعلت ؟ ! ! أم أن الخطأ هو الذي قررت ؟ !! قلت في نفسي للمرة الألف أيضا لأعزى نفسي ، و أسكتها تماماً .. لقد حدث ، ما حدث ، ولا تراجع .. و لم يكن ثمة شي آخر غير ما فعلت .

أخيراً ، وصلت إلى المبنى لم يكن مزدحماً كالمبنى الرئيسي في القاهرة، صعدت الدرجات متئداً .. ثم سألت عن غرفة السيد المدير العام ، فأدخلني إليه ساعي مكتبه

- صباح الخير

و ارتميت على أقرب كرسي ، دون استئذان ، واضعاً الحقيبة بجانبي ثم قدمت إليه كل أوراقي ... أمسك الرجل بمنظاره ، و وضعه فوق أنفه نظر إلى بسرعة و راح يطل في الأوراق و يقرأها بتمهل و هو يمسكها بيدين كبيرتين

- أهلاً... و سهلاً

و ابتسم و هو ينظر إلى فلمحت ثلاث أسنان مخلوعة ، من أمام فكه الأسفل

- سيادتك منقول من القاهرة

- نعم

فابتسم في صمت ، و راح بقلمه الجاف يكتب سطوراً في أوراقي ... أخذت أتأمل غرفته الواسعة ، النظيفة ... إنها غرفة تشبه كل غرفات المديرين الذين أتيحت لي فرصة دخول غرفهم في القاهرة

- سيادتك تشرب أي شيء

قالها .. و ما زالت عيناه على الأوراق و قلمه الجاف يجرى عليها بالتأشيرات

- ألف شكر .... لا شيء

- دعك من الشكر الآن ، لابد أن تشرب أي شيء

قالها ثم جرى قلمه بالشطب على سطور مكتوبة في أوراق أخرى

- إذا كان ... فليكن شاياً إذا سمحت

تراجع بكرسيه ذي العجلات قليلاً .. و ضغط زر الجرس المثبت خلفه على الحائط ... بسرعة فتح الباب ، و دخل ساعي المكتب ... نظر إليه من خلف منظاره

- واحد شاي مضبوط للأستاذ يا عم سلامة

و لم يكد يكمل جملته حتى دخل علينا رجل أشيب الرأس والشارب .. و من خلفه شاب طويل القامة كالعمود ... خلع المدير منظاره . أشار بيده إلى الرجل الأشيب .

- الأستاذ ( محسن البيومى ) مدير شئون العاملين بالإدارة

وقفت له مرحباً

- أهـــــــــلاً يا أفندم

و مددت له يدي مصافحاً

- الأستاذ رضوان وكيل قسم الحسابات بالإدارة

- أهـــــــــلاً يا أفندم

و صافحته هو الآخر

- الأستاذ من ديوان عام الوزارة، و منقول إلى هنا

نظـر الرجـل الأشـيب إلى وجهـي ، باسـتغراب ،مندهـش ، و صـدره يعلـو و ينخفـض في لهـاث ملحـوظ كشـأن مـرضى الربـو

- منقول حضرتك ، أم مرقى على درجة

- لا و الله منقول

و كأننـي قلـت قـولاً عجبـاً ، فراحـا ينظـران إلى في صمـت ، حتـى المديـر راح ينظـر في وجهـي مبتسـماً ... كانـت نظراتهـم المتدفقـة عـلى في دهشـة ، تسـتفسر في صمـت عميـق عمـن أكـون.. كنـت أقـف كلغـز بينهـم ، حتـى قطعـه المدير بكلمـــــــاته

- تفضل بالجلوس يا سيد .. نورت الخارجة

و جلسـت كأننـي لسـت أنـا .. رسـمت عـلى فمـي ابتسـامة مـا و قلـت في نفـسي :

« لقـد حـان وقـت التفسـير ، و الكـذب معاً..ثـم رافعـاً صـوتي ممزوجـاً بالحـزن

- نقلـت نفـسي بسـبب وفـاة زوجتـي و ابنـي في حـادث سـيارة و لقـد نصحنـي البعـض مـن الأقـــــــارب و المعـارف .. أن أسـافر إلى مـكان بعيد

، لا يذكـرني بالحـادث ، حتـى تهـدأ أعصـابي ، و تسـكن نفـسي ... فاخـترت محافظـة الـوادي الجديـد لهدوئهـا و بعدهـا عـن القـــــــــاهرة و لأجـد سـكناً فيهـا فبعـد أن فقـدت زوجتـي و ابنـى تسـاوت عنـدي كل الأمكنـة .

قلـت هـذا الـكلام...و أنـا أحـاول أن أهـدج مـن صـوتي ، و أرسـم عـلى محيـاي الألم الـذي يدفـع بالشـفقة و الرثـاء .

- لا يا أخي شد حيلك

- البقية في حياتك

- اعتبر نفسك بيننا ، كأنك في وسط أهلك تماماً

- و وقـف المديـر و بـدأوا جميعـاً في مصافحتـي مـن جديـد ، و أصواتهـم تـشي بالرثـاء و العـزاء .

- أشـكركم جميعـا مـن كل قلبـي ، و هـذا هـو إحسـاسى بالفعـل ، فمنـذ أن التقيـت بكـم الآن ...

و اغرورقـت عينـاى – و يـا للعجـب – بالدمـوع .. لا . لأني كذبـت عليهـم ، و لكـن لألم آخـر رهيـب ، سـكن في قلبـي منـذ زمـن بعيـــــد ، و لم يجـد لنفسـه متنفسـاً يخـرج منـه ، إلا بمثـل هـذه المواقـف المدبـرة مسـحت عينـي بمنديـلي . تنهـدت نظـرت تجـاه المديـر .

- فقـط أريـد منكـم خدمـة كبـيرة .. أن أجـد شـقة أو حتـى حجـرة صغـيرة أسـتأجرها لأسـتقر فيهـا .

رد المدير في سرعة.

- موجـودة .. لا تحمـل هـماً فاسـتراحة الإدارة مغلقـة عـلى الفـاضى منـذ شـهور .. بـل هـي مغلقـة كـما أعتقـد منـــــــذ سـنة أو أكـثر .. و هـى عبـارة عـن ثـلاث حجـرات واسـعة في المسـاكن الشـعبية .. سـأبعث إليهـا

الآن باثنين من العمال لتنظيفها لك في الحال.. فاجلس معنا ، حتى تذهب إليها نظيفة و ممسوحة .

ثم تضاحك الرجل الأشيب .. و قال للمدير :

- إذا سمحت سعادتك .. سآخذ الأستاذ معي ، حتى أعرفه بكل الزملاء و تأبط ذراعي و أخذني معه و أجلسني في حجرته الواسعة التي تكدست فيها المكاتب .. كان هناك زميلتان ، و ثلاثة رجال

- الأستاذ زميلنا الجديد منقول من القاهرة

رد زميل مستغرباً.

- من القاهرة مرة واحدة ...من أم الدنيا إلى معتقل الخارجة .. يا لها من ترقية شنيعة

- رد الأستاذ البيومى

- لا ... هو منقول فقط .. و سيرقي هنا إن شاء الله

و راح يقص عليهم حكايتي الملفقة ... من خلال صدره المتعب ، وأنفاسه المبهورة . كنت أرى وجوههم في صمتي الهادي و قد بان عليها الإشفاق لي ... مصمصت الشفاه جميعا ترثى حالي و فجيعتي

- لا حول و لا قوة إلا بالله

قالت زميلة في صوت محزون ، يكاد يختنق بالعبرات

- يا ما في الدنيا مساكين يا أولاد

كنت أحس بهدوء عميق يملأ أعماقي ، و كأن هذه الحكاية التي حكيتها و رويت عنى ليست حكايتي ، و أن هذا الإشفاق الذي تسكنه

الكلمات ...و هذه الملامح المتألمة .. ليست هي من أجلى أبدا ..حتى صمتي و تمثيلي الذي أحسب أنى أجدته كل الإجادة ... إنما هو تعبير الإشفاق عن إنسان آخر غيري .. إنسان - و اعجباً - لا أعرفه ، و لا يعرفني ، و لا أمت له بأدنى صلة ... و العجيب أنني كنت أحس في تلك اللحظات بالسكينة المطلقة و ثمة خاطر يتنامى في نفسي ، ويتعاظم أن أتركهم مع رثائهم يختلجون و أهرب أنا إلى نفسي لأخلو بها .. كنت حقاً لا أعرف ماذا أريد.. لقد حدث ما حدث ... و على الآن أن أسير محتملاً أكاذيبي كلها حتى النهاية ... و هؤلاء الزملاء جميعا رجالا و نساء ممن سيعرفون قصتي و الذين هم الآن يبدون نحوى كل إشفاق و حنان و استعداداً بطولياً للوقوف بجانبي .. أتراهم سيكونون كذلك بعد أن أزاملهم شهوراً ،و أقاسمهم عملهم .. أم سيتصرفون معي على نحو مغاير و لن يبالوا بي أبداً و سيتكلمون عنى بالسوء من خلف ظهري ، آكلين لحمى كعادة كل الناس و كل الموظفين الذين بلوتهم في كل مكان .

-٢-

لا تبعد الإستراحة عن مكان الإدارة إلا بنصف ساعة سيراً على الأقدام .. في مكان متطرف يكاد يكون منعزلاً ، و يقع خلفها منطقة صحراوية تمتد بعيداً حتى الأفق ، و هي تقع في الطابق الثاني في أحد المساكن الشعبية.

دخلت الاستراحة ، فوجدتها كما وعدني السيد المدير نظيفة ، مرتبة و آثار الماء لا زالت ندية على البلاط ، و زخم رائحة رطوبة البخار تشمها الأنف بقوة .. هناك سريران من الحديد في كل غرفة من غرفها الثلاثة ، و على كل سرير مرتبة من الإسفنج محل لون قماشها ، و تمزق في بعض المواضع مع الإسفنج أيضا ، أما المطبخ فلاشيء فيه أبداً ... بل

هـو مـكان للطهـي فقـط ، و عـلى أن اسـتكمل كل شيء ، إن أردت السـكن فيهـا و الاسـتمرار .. قلـت لنفـسي : لا بـأس فلنسـتكمل كل شيء ناقـص . الأواني . الأطبـاق . الموقـد. الأكـواب ، و أي شيء آخـر يحتاجـه السـاكن لمطبخـه الصغـير ، القاحـل

خلعـت ملابـسي ، و ألقيـت بهـا عـلى أحـد السريريـن .. و اسـتلقيت بظهـري عـلى الآخـر و أنـا أنظـر السـقف ... ابتسـمت لنفـسى في مـرارة . يقولـــون إذا أردت الاسـتقرار في حياتـك عليـك بالـزواج .. يـا إلهـى .. هـذا الاسـتقرار مـا شـكله ؟ و مـا طعمـــــــه ؟ و أيـن يتواجـد ؟ !... و أغمضـت عينـي و رحـت في سـبات عميـق .. حتـى صحـوت السـاعة السادســـــــة مسـاء ، فارتـــــديت ملابـسي ، و رحـت أتمـشى قليـلا ، و أشـترى شـيئا أتعشى بـه .

كان الطريـق هادئـا مسـفلتا .. و عـلى جانبيـه اصطفـت بلوكات المسـاكن الشـعبية . فكـرت في أسى .. « وحـــــدي أنـا الآن .. و لأول مـرة أحـس بـأني أعيـش ، و أنـه لا أحـد يناكـدنى الحيـاة أبـداً . » .. ثـم شـبكت يـدي خلـف ظهـري ، و تمهلـت في سـيرى .. و انحنيـت مـع الطريـق المرصوفـة .. لقـد زورت أوراقـــاً بأننـي منقول إلى قنـــا ، و أريتهـــا إياهـا فصدقتني المنكودة و أبـرزت لهـا نـشرة أخـرى ، أتقنـت تزويرهـا بنقـلي مرقـى كوكيـل لـلإدارة بقنـا ، و أفهمتهـا أيضـا أننـي حـين أذهـب إلى هنـاك سـأبحث بـكل مـا وسـعني الجهـد عـن شـقة ، ثـم أحـضر إليهـا لأصحبهـا معـي إذا أرادت هـي و البنـات لنعيـش جميعـا مـدة البقـاء المفروضـة في الترقيـة ، لأطالـب بعدهـا بنقـلي إلى القاهـرة مـن جديـد .. ثـم ابتسـمت لهـا .. « و اسـتعدى مـن الآن أن تأخـذي إجـازة مـن الشـغل ، حتـى تصحبينـي إلى هنـاك » .. وحـين جمعتنـا غرفـة النـوم ، خبطتهـا عـلى ظهرهـا مداعبـاً .

- أخيراً .. ستستريحين من وجودي معك و ستهدأ أعصابك تماماً

و ابتسمت في وجهها حتى تبدو كلماتي لها أشبه شيء بالمزاح لكنها نظرت إلى و بكل صفاقتها التي عهدتها فيها .. قالت لي :

- لقد قلت الحقيقة تماماً ، وجودك بالفعل يستثيرني .

اندفعت الدماء في وجهي تلهبه ، و تحرقه ... حدثتني نفسي أن أصفعها على خدها .. لكنى أمسكت ، فلو أنني حقاً فعلت ، لصفعتني هي الأخرى ، و تصاعد الموقف ، و ارتفع الصراخ ، و تناثر السباب إلى حد لا يحمد عقباه .. قلت في نفسي : « ساعات قليلة ، و سأفارقك أيتها اللعينة » ..

و قمت متنهداً ، و أطفأت النور

- آه أيتها البلهاء .. سأسافر فأمازحك فتقولين لي مثل هذه الكلمات القبيحة ، الغليظة .

- قلتها رداً على كلامك

- و هل هذا الكلام الموجع ، هو الرد على كلامي ؟

- نعم ... و أرجوك أن تسكت حتى لا أزيد

- متشكر

- لا شكر على واجب .. و نم و أنت ساكت .. حتى لا تكون ليلة سوداء إن شاء الله .

قلت لها ، و أنا أشتعل بالغضب الكاوي :

- لقد أخطأت كل الخطأ .. لأني رضيت بالسكن مع أمى فى بيت العائلة .

قاطعتني متحدية :

- بالضبط .. لقـــــد جئت بالفائـــدة كلها.. هذا هو الخطأ كله كما تقول .. استرحت فأوليتها ظهري ، و صمتي .. حتى يمكنني السفر في الصباح الباكر ، لكنني – و أسفا ! – ظللت أتقلب على الجانبين ، وأنا أتميز غيظاً ، و أتذكر أقوالاً أكثر نكراً ، و هولاً من هذه الكلمات ، وخصاماً فاجراً منها يمتد لتشغل فيه الأسابيع محترفة ، و عجرفة لا أدرى لها سبباً . قابلت في أول زواجي منها عنفهاً بعنف أشد ، فما ارتدعت . خاصمتها فاشتطت في خصامي .. نصحتها فما دعت .. و كانت تقول ساخرة في كل مرة .. « و فر نصائحك على نفسك أحسن » .. ذكرتها بأننا أنجبنا خمس بنات ، و علينا أن نحترس .. فالسفينة حين تغرق ستغرق بركابها الأبرياء .. فما اهتمت ، و لا ارتدعت ، و قالت بأستهتار غريب . « تأكد أننا سنعيش أحسن مما تتصور » .... و هذا قول فظ يختبئ في طياته معنى بذيء جداً .. و أخيراً .. أوصلتني في النهاية إلى طريق مسدود و لم يبق لنا إلا أن يقتل أحدنا الآخر ، أو ننفصل عن بعضنا انفصالاً نهائياً لا رجعة فيه .

كان نومي متقطعاً .. توقظني منه أضغاث أحلام مفزعة .. حتى صحوت قبل الفجر بساعتين ، و فى قلبي انقباض عارم ، ثقيل جداً كما الرصاص .

و في الساعة الرابعة و النصف .. دخلت حجرة الصالون ، و ارتديت ملابسي ، و اطمأننت على إعداد الحقيبة ، و ما في داخلها .. ثم دخلت حجرة البنات و نظرت إليهن ملياً ، كن صغيرات ، لا يعين شيئاً ، وأذرعهن تنتهي بأكف صغيرة ، بضة ، و أصابع رفيعة هشة تشبه الأقلام ، كم قبلت كل هاتيك الأكف ، يا رب كن معهـــــن ، وارحمنـــــا . كن راقدات ، و شعرهن الناعم يختلط بوجوهن ، في جمال طفولى أسر .. أحبكن .. و راودتني نفسي أن أنحنى عليهن ، وأقبلهن واحدة تلو الأخرى .. لكنى خشيت أن يستيقظن فلا يمكنني

التصرف بعدها.. فاحتملت حقيبتي ، و خرجت متسللا بخطوات لص حريص ، وأغلقت من خلفي الباب في هدوء شديد و استقبلني الشارع و الفجر بهواء بارد ، لاذع . سخيف .. كان ثمة أناس قليلون يسيرون في صمت ، وبعضهم يتمتمون كلاما لا يبين . تفاديت حجراً كبيراً اعترضنى في الطريق .. أخذت نفساً عميقاً ، و أخرجته زفيراً كله من فمي كتنهيدة حارقة ، طويلة ... ستقول طلقها فما الذي يجعلك ترزح تحت هذا العذاب المقيم ، و تتجرع كل هاته الكئوس من عصير المهانة .. أعرف أن أي إنسان سيقول ذلك ، كما قاله الكثير من أصحابى ، و أقربائي .. ولكن آه .. لو عرفت- لكنت ربما عاذري – فهناك قائمة عفش صارخة وقعت عليها بعشرين ألف جنيه ، و فوقها ثماني أساور ذهبية ، ومؤخر صداق حررته على نفسي بعشرة آلاف جنيه في شيك ... و بالطبع هو شيك بلا رصيد .. أما الأساور الذهبية فقد بيعت ، و تحولت إلى ثلاجة ، و غسالة ، و مكنسة كهربائية بفواتير خالصة وقعت باسمها .. و لكنه – مع ذلك – مثبوت على في القائمة ، كسيف رهيف يكفى أن تنفث فيه رغبة شريرة ليستحيل حالا إلى سيف حقيقي تمسكه بيدها لتمزق حياتي كلها إرباً ..

هذا الطلاق الجميل .. كيف أصل إليه ؟ ! و هو يعنى حرباً بين قوتين لا يتساويان معاً أبداً .. لا تلمني كيف سمحت لنفسي بالوقوع في هذا البحر اللجي ، البعيد الأغوار ، و أنا لا أجيد فن السبح .. أبداً لا تلمني لقد كانت فتاة جميلة حوراء العينين ، متسعتين جداً وكأنها ستشهد بهما كل العالم مرة واحدة ، أما شعرها الجميل الناعم فكانت تضفره ضفيرة واحدة تلقى بها خلف ظهرها ، و تظل تهتز من خلفها كبندول الساعة كلما سارت .. و في أحيان أخرى كانت تتركه يتدلى خيوطا من حرير أسود ، فينسدل على كتفيها ، و ظهرها فيعابثه النسيم في لمسات حب و حنان

أمـا ملابسـها فكانـت عبـارة عـن سراويـل ضيقـة ، أو « جونيـلات » ذات لـون غامـق ، تكشـف عـن بيـاض سـاقيها الملفوفتيـن الطويلتيـن .. و في قدميهـا الصغيرتـين تنتعـل حـذاء صغـيرا ، لـه كعـب صغـير ، و بهـذا الكعـب العجيـب الضئيـل تمـضى عـلى الطريـق أمامـي ، فتعـزف مـن عـلى ردفيهـا الثقيلـين الجميلـين لحنـاً مثـيراً فاتنـاً في ارتفـاع و انخفـاض فتصطخـب أعماقـي بعنـف لا هـوادة فيـه ، و تسـتنيم لـه روحـي في خـدر لذيـذ ... كنـت إذا التقيهـا أسـير خلفهـا كالمسـحور بخطـوات بطيئـة و عينـاى مشـدودتان شـداً إلى ظهرهـا الـذي يتـماوج بردفيـه الرائعـين العجيبـين.. سـألت عنهـا ، فعرفـت اسـمها فلـم يعجبنـي كثـيراً ، لكننـي – مـع ذلـك – غفرتـه لهـا ، لـكل أشـيائها هـذه البديعـة التـي شـغفتها في قلبـي المدلـه بهـا .. و يومـاً بعـد يـوم عرفـت عنهـا المزيـد .. لقـد كانـت السادسـة و الأخـيرة بـين شـقيقين و ثـلاث شـقيقات ، .. تـوفي أبوهـا فجـأة في مطالـع شـبابها ، فعاشـت مـع أمهـا التـى تجـاوزت الآن السـبعين مـن عمرهـا وحيدتـين في شـقة تتألـف مـن حجـرات ثلاثـة .. تقـع أسـفل شـقتين كبيرتـين يسـكن فيهـا أخـــواها .. و بـين أحضـان الأم الهرمـة أكملـت تعليمهـا المتوسـط ، و توظفـت في هيئـة البريـد بالقـاهرة .. و حـين عملـت بمدينتهـا الصغـيرة سـكنت قريبـــاً مـن منزلهـم .. و مرضـت بهـا عشـقاً ، و اشـتياقاً ، و تدلهـت بجسـدها الراقـص جنونـاً ممرضـاً ، لا أتمنـى حتـى الآن الـبرء منـه و تحولـت مـع الأيـام إلى هـدف كبـير أسـعى إليـه بـلا تـوان أو تأخـير

كنـت أمـضى وحيـداً في طريقـي ، و عتمـة المسـاء تمـلأ الأرض و السـماء و ظهـر القمـر في سـماء الـشرق أحدبـاً و أشـعته البيضـاء الواهنـة تبـدد ظلـمات الطريـق في هـدوء شـاعري رقيـق فأتشـجع أنـا عـلى السـير وحـدي حتـى ابتعـدت عـن مدينـة الخارجـة الجديـدة و دخلـت دون أن أدرى مدينـة الخارجـة القديمـة .. و مـن هنـاك اشـتريت عشـائي و إفطـار الصبـاح خبـزاً و زيتونـاً و جبنـاً ثـم حاولـت العـودة فتـاه منـى الطريـق و

تخبطت تائهاً كما تخبطت حياتي منذ زمن بعيد سرت أكثر من ساعة ونصف الساعة و أنا لا أعرف أي طريق أسلك حتى جاءتني النجدة في سيارة يركبها رجل لا أعرفه توقف بجانبي أوصلني إلى المساكن حيث الاستراحة و دخلت شقة الاستراحة و سعلت فجأة سعلات في فضائها الخاوي فجاءني صوت صاخب متضخم كأنه العواء و مع وقع خطواتي و سعلاتي دخلت غرفتي و رحت أخلع عنى ملابسي في تؤدة .. جلست على السرير قليلا ثم قمت فارداً الأوراق و تناولت عشائي بلا طعم ولا مذاق .

-٣-

كل الأيام هنا هي يوم طويل . طويل من عذاب مقيم و وحدة حارقة تحترق فيها الروح و مازلت حتى الآن أتساءل في تعب أنهك عقلي كثيراً.. هل ما فعلت هو الصواب الرشيد و هو سؤال يطن في رأسي دوماً كطنين بعوض عنيد .. أجيب عليه بالإيجاب في إصرار و في حالات ضعفي و نكسى – و ما أكثرها و ما أشدها هنا لا أجد إلا إجابة واحدة أنني تسرعت جداً و أنى أخطأت إثما و أن ما حدث هو النكد بعينه جلبته على نفسي بنفسي .. آه يا رب لقد فعلت ما فعلت رغماً عنى فالنداءات المتكررة في الصباح أو في المساء و الزعيق أو الصراخ و اجتماع أهلها على و ادانتهم لي بالخطأ في كل مرة و استماعهم لها و تشويه صورتي باستمرار هي كلها أسباب هروبي و فراري .. فأي عذاب يتعذب به الإنسان في حياته و هو فى منتصف الأربعينات لا بيت له و لا ولد إنما هي عزوبة مفروضة بالواقع الأليم و ضياع مهلك يائس و يا له من ضياع .بدأت أيامي المفزعة تتحرك بانتظام شديد كما القاطرة تجرى على قضيبين متوازيين بلا نهاية .. أذهب إلى العمل بالإدارة في الصباح ثم أعود لتناول الطعام أو رفض كل طعام ثم نوم إذا استطعت أو رقاد و استرخاء و خروج فى المساء إلى النادي الذي

هـو أشـبه بالمقهـى كثـيراً لأجلـس مـع زميلـين أو ثلاثـة .. أمـا الطعـــام فكلـه مجفـف أو معـــلبات .. و قـد أبلغنـي المديـر في حديثـه معـي يومـاً أن مـدة خـــدمتي الطويلـة سـتحقق لي ترقيـة سريعـة هنـا أخـبرني بذلـك ليفـــــرحني و شـكرت لـه و رسـمت ابتسـامة محزونـة عـلى شـفتي كأني أسـمع خـبراً عاديـاً عـن زميـل آخـر لا أعرفـه و لا يعرفنـي و لا يعنينـى أبـداً أمـر ترقيتـه قـد جفـاني النـوم و هـو مـا يحـدث لي هنـا كثـيراً فأقـف في الشرفـة وحـدي أشرف منهـا عـلى شـارع صامـت هـادئ لا نـاس فيـه كأن الهـواء قـد خلخـل منـه و حـين ينحـدر الليـل مـن السـماء ليرقـد عـلى الأرض رقدتـه الليليـة أراه و يالعـذابى – شـيئا جسـيماً مخيفـاً لـه زخـم نفـاذ مهلـك تشـمه روحـي المنهوكـة فتهلـع منـه فرقـاً .. ليـل مخيـف جـداً ثقيـل جـداً يضغـط عـلى صـدري كاتـم لأنفـاسى... الليـل في المدينـة الأخـرى حيـث كانـت حيـاتي تتخبـط فيهـا بهيـج مثير فالشـارع يظـل يلغـط بالنـاس حتـى الصبـاح و تلـك المقهـى التـي كانـت تقـع أمـام البيـت مبـاشرة و يظـل روادهـا يقرعـون حجـر الضامـة عـلى الموائـد الصغـيرة أو قشـاط الطاولـة فى صناديقهـا الخشـبية حتـى سـاعة متأخـرة مـن الليـل أيـن أنـا منهـا الآن ؟

و أنـا أبتعـد مئـات الكيلـو مـترات ، بـلا هـدف واضـح معقـول سـوى الهـروب و الابتعـاد .. أف لـكل حيـاتي و عيـشي هنـا .. هربـت منهـا زوجتـي .. نعـم .. فكيـف باللـه الهـروب مـن نفـسي ، و نفـسي التـي لا ترحـم تنتصب أمامـي قاسـية ، متوحشـة ، تسـومني سـوء العـذاب ، و حلـك المصـير مـرة أخـرى .. هـل أخطـأت ؟ ! .. ربمـا نعـم ، و قـد يكـون لا .. و أحسسـت بصـداع ينهـش داخـل جبهتـي .. فقلـت لنفـسي : لأعمـل كوبـاً مـن الشـاي ، عـلى موقـد السـبرتو الـذي اشـتريته اليـوم .. هـذا أفضـل لكـن الشـاي – اللعـين – فـار منـى ، و اندلـق بعضـه عـلى رأس الموقـد و لم ينبهنـي إليـه إلا انطفـاء الموقـد ، فقلـت في نفـسي : لـن يجدينـي المكـوث في الاسـتراحة ، وأنـا لا ألقـى سـوى نفـسي القاسـية المريضـة التـي تنتصـب أمامـي في توحش

كـما العفريـت .. الأفضـل في حالتـي هـذه أن أرتـدى ملابـسي ، و أذهـب إلى النـادي ، لأهـرب منهـا هنـاك .

في النـادي جلسـت مـع زميـلي ( فهمـي ) وكيـل المحفوظـات و الـذي يصغـرني ربمـا بعامـين أو ثلاثـة.. و الـذي لا يتكلـم كثـيراً ، و كان دائمـاً يجلـس في النـادي ، كأنـه سـيبيت فيـه ، مـع أنـه يعيـش مـع زوجـة في شـقة هنـا كـما علمـت منـه ، منـذ عـام تقريبـاً

قلت له :

- لقد وصلني خطاب اليوم ضايقني كثيراً

نظر إلى في حب استطلاع ، و اندهاش .

- خيرا إن شاء الله

- هو من صديق لي أحبه مثل نفسي

اعتدل في جلسته . هز رأسه صامتاً . استطردت أنا

- الحكايـة باختصـار شـديد أن صديقـي هـذا يشـكو مـر الشـكوى مـن زوجتـه .. و يخـبرني في نهايـة خطابـه .. أنـه عـازم عـلى تطليقهـا ليسـتريح منهـا تمامـاً

- و لماذا يشكو صاحبك من زوجته ؟

نظرت إلى عينيه . مسحت جزءا من المائدة بكفي

- هـو لم يخـبرني في خطابـه أيـة تفصيـلات كثـيرة و لكنـه كـما أعـرف – حـين كان يحـكى لي عنهـا في البلـد ، أنهـا سـليطة اللسـان ، بذيئـة الألفـاظ و تحـب الخصـام معـه حبـاً جـماً مجنونـاً .. و قـد أخـبرني مـرة أنـه حـين توفيـت شـقيقته ، و مـن بعدهـا والدتـه بثلاثـة أشـهر .. لم تصحبـه في واجب العـزاء ، الأمـر الـذي شـوه صورتـه كثـيراً أمـام أهلـه

- و هل كتبت إليه برأيك ؟

- لا .. لم أكتب له برأيي بعد ، و لكنى في الحقيقة متحير جداً ، ماذا أكتب له ؟ .. فما رأيك أنت ؟

- رأيي أنا .. مع زوجة مثل هذه .. الطلاق و الطلاق السريع جداً فالطلاق لها أفضل علاج

- أترى ذلك ؟

و عالجت على فمي ابتسامة صغيرة

- نعم فهذه امرأة فيما يبدو عليها ، و بما سردت لي من أشياء عنها لا تساند رجلها ضد الزمن .. بل على النقيض تساعد الزمن على الانقضاض عليه ، و افتراسه .. اكتب له على لساني طلقها طلاقاً بائناً لا رجعة فيه ، حتى تلتقط أنفاسك و تستريح .

قالها جاداً ، و وجهه يبدو عليه الضيق ، و كأنه يصدر حكماً في مشكلة تخصه هو

- صدقني الطلاق هو أفضل الحلول لمثل هذا الصنف العاتي من النساء فأحسست في التو بومضات كهربائية ، ترعش ساقي حتى الكاحل ، و بتنميل فظيع ، و جف حلقي سريعاً ، و ربما غاض الدم من وجهي ، و اضطرب قلبي في صدري ملتاثاً كالطير الذبيح .. و صمتت دقيقة أو أكثر لا أدرى تماماً ، و اعتمدت ذقني بكفي اليمنى ، و لولا أن أحد رواد النادي خبط قشاط الطاولة بقوة شديدة .. أعقبتها ضحكة مجلجلة ، جعلت صاحبي يميل بشدة برأسه إلى الخلف ، ليرى من الضاحك .. لولا ما حدث .. لربما لاحظ فرط اضطرابي ، و امتقاعي .. ولعرف في الحال أنني هو الصديق الذي أتقمصه و أتمسح به و أتخفى .. و لا أحد غيري .. حين عاد بوجهه ، و نظراته كنت متماسكاً أكثر ..

فقلت له :

- و لكن كيف يطلقها ، و له منها أولاد

- يا أخي يطلقها .. كما طلقت أنا من قبل

و تضاحك مبتسماً ، و راحة يمناه تمسح على المائدة

- هل تعلم أنني كنت متزوجاً من امرأة تشبه في ملامحها الشخصية ، و الخلقية زوجة صديقك المسكين هذا . !

و نظر إلى جاداً ، فهززت رأسي .. و لم أعلق

- نعم .. فزوجتي التي معي الآن هي الثانية ، أما الأولى التي طلقتها من غير رجعة فقد خدعتني تماماً .. و اكتشفت سوء طويتها بالعشرة .. و كنت إذا غضبت منها .. لا تسكت حتى أهدأ .. بل تسرع فتسبني ، أو تمسك بتلابيبي .. هل تصدق ؟ ! .. و قد تصرخ بصوت عارم لتجمع على الناس ، لتفضحني ، و تكشفني أمامهم كما صارحتني بذلك يوماً .. أما الخديعة الأخرى .. فكان شعرها .. قبل الزواج كان قصيراً يميل لونه إلى الاحمرار الجميل .. بعد الزواج رأيته خشناً شائباً في معظمه ، وأن هذا الاحمرار الكاذب .. كان يأتي فقط بعد صبغه بالحناء المخلوطة بتفل الشاي .. لك أن تتخيل بعد ذلك وجهاً مطهما يجعده الغل حين تصرخ ، و شعراً منكوشاً قد خالط بياضه احمرارا ناصعا ، و بعض السواد ، و يدا تشوح بها بإيحاءات قذرة .. و ربما صرخت بأعلى صوتها

- طلقني .. لقد كرهت العيش معك .. أكرهك .. لن أعيش معك بعد الساعة أبداً

و طلقتها بالفعل بعد مشاجرة صاخبة بيننا .. ذهبت على أثرها إلى أسرتها غضبانة ، فأسرعت أنا و أرسلت لها بورقة الطلاق .. و بذا استرحت ، و حققت لها هدفها الجميل ، الجليل .. الذي كانت تسعى

إليـه جاهـدة بالـصراخ و السـباب

- و هل كان لك أبناء منها ؟

- ابنـة واحـدة .. مـاذا أفعـل ؟! .. المهـم أننـي تخلصـت مـن حمـل ثقيـل أبهـظ روحـي بالعذاب

- و تزوجت بالطبع مرة أخرى

- طبعـاً .. و هــذه الزوجــة معقولــة أكـثر ، و محتملــة جــداً ، و إذا حـدث بيننـا كـما يحـدث بـين الأزواج جميعـاً فهـو خـلاف مبلـوع ، و عـادى ومقـدور عليـه المهـم إن كان صديقـك هـذا لا يبالـغ في شـكواه فانصحـه عـلى لسـاني – بالطـلاق الفـوري ، السريـع الناجـز

ثم سكت قليلاً ، و احتسى من الكوب الذي أمامه قليلاً من الماء

إنى أغبطـك في كثـير مــن الأحيــان .. لأن القــدر الرحيــم ســاعدك في التخلـص مــن زوجتــك

و لما رآني صامتاً .. لا أبتسم .. أسرع بالاعتذار

- أرجـوك لا تغضـب منـى .. فهـي مزحـة ثقيلـة .. أرجـو أن تغفرهـا لي و تنسـاها

و ربت على يدي ..

لا عليـك .. فسـأتركك الآن .. لأنـام فموعـد النـوم قـد اقـترب و قمـت بعدهـا ناهضـاً .. و خرجـت مـن النـادي ، و اسـتقبلتني كل الأشـياء بالأحـزان .. تنهـدت في أسى .. لمـاذا نتـزوج ؟!! لمـاذا يتـزوج الرجـل بالمـرأة ، و المـرأة بالرجـل .. و مـا هــذا الــشيء الشــنيع الــذي يشــد الرجــل إلى المــرأة .. هـل هـي فتنتهـا القاسـية الفتاكـة .. أم هـي أرواح أولئـك الأطفـال الـذي يسـكنون أصـلاب الرجـال ، و تناديهـم الأرحـام ليتشـكلوا فيهـا بـشراً آخريـن

.. لا أعـرف .. كل مـا هنالـك أننـي أخطـأت بالـــــــــزواج أو ربمـا كـــان خطئـي كلـه بالاقـتران مـن هـذه المـرأة بالـــذات حينئـذ أتـانى طيـف ابنتـى الصغـيرة ذات العامـين و نصـف العـام و ابتسـمت في حـسرة .. و تنهـدت .. أهـذا معقـول؟ .. كلـما تشـاجرت مـع أمهـا تنتصـب بيننـا واقفـة ، و تباعـد بيننـا بيديهـا النحيلتـين كـما الغصنـين تقـف صغـيرة ، هشـة كـما الدميـة وتقـول في بـراءة : صلـوا عـلى النبـي . صلـوا عـلى النبـي .. هـذه الصغـيرة كـم أحبهـا و أحبهـا .. و إننـي لأود أن أراهـا و أحملهـا بـين ذراعـي ، و أجعـل روحهـا الصغـيرة تتدسـس في روحـي ، و تسـقيني روح الحيـاة

- ٤-

في الصبـاح نهضـت مـن فـراشي متأخـراً ، و رأسي يـدق عليـه صـداع سـخيف .. ارتديـت ملابـسي بـلا فطـور ، و خرجـت مسرعـاً .. لأجلـس هنـاك عـلى مكتبـي فاقـد المـذاق لـكل طعـوم الحيـاة ، و لأمـارس كل مـا أفعلـه في كل يـوم في ملـل لا ينقشـع عـن حيـاتي ... في تمـام السـاعة الحاديـة عـشرة أتـاني عـم حسـين السـاعي بخطـاب ، تناولتـه منـه مرتجفـاً .. و تعجبـت جـداً لخطـاب يأتينـي في هـذا المـكان البعيـد ، و أنـا الـذي لم أخـبر عـن نفـسي و عنـواني أحـداً مـن أهـلي أو حتـى أصدقـائي ، و لم أتراسـل مـع أحـد بعـد .. نظـرت إلى الزمـلاء في رعـب ، كأن في يـدي شـيئا اختلسـته بينهـم ، أخـشى عليـه مـن الانكشـاف لكنهـم - كانـوا بحمـد اللـه - في شـغل شـاغل عنـى بأوراقهـم ، و أحاديثهـم و دخولهـم ، و خروجهـم و فتحـت الخطـاب بأصابـع ترتجـف هلعـاً .. كان قلبـي يتخبـط في صـدري ملتاثـاً .. جـرت عينـاى بسرعـة شـديدة عـلى السـطور .. كان الخطـاب مملـوءا كله بالسـباب .. قرأتـه في اضطـراب شـديد ، و انتهيـت منـه في لحظـات .. و كاد يغمـى على مـن شـدة الفرحـة ، و قسـوتها . يـا رب لم أكـن أتوقـع كل ذلـك .. هـل كل هـذا الفـرج يـأتي هكـذا كالـبرق بغتـة لـكأن الشـاعر يقـول لي وحـدي الآن :

اصبر لدهر نال منك .. فهكذا مضت الدهور فرجاً و حزناً مرة .. لا الحزن دام و لا السرور

كدت أصرخ وسط الزملاء : يا عالم أنا فرحان .. أنا مسرور أنا سعيد . سعيد جداً

و أعدت قراءة الخطاب مرة أخرى ، و لكن بتأن أكثر .. أنا لا أصدق .. في الاستراحة سأعيد تلاوته مرة أخرى .. لا .. لا قل مئة مرة لابد أن أستظهره كالقصيدة العصماء

كانت الساعات الباقية على انتهاء الدوام تمضى بطيئة ، شديدة الهدوء كأنها السلحفاة تسير .. لقد حاولت إخفاء مشاعري .. كأن خطاباً عادياً أتاني من أى أحد ، و وضعت وجهي على كومة الأوراق أمامي ، و راح قلمي يجرى عليها بطيئاً ، و يتوقف كثيراً ، كان التفكير يملأني .. كنت في حالة لا ينفع فيها الجلوس ، و العمل .. إن حالتي هذه أيها الناس لا يصلح معها إلا الرقص ، و الضحك ، و الانتشاء .. حين خرجت من الإدارة سرت بخطوات هادئة ، لأستمتع بوقت سعيد طويل ، أمتصه وحدي بالتذاذ كبير . اشتريت خبزاً و زيتوناً و بيضاً مسلوقاً ، و اعتزمت ألا أخرج أبداً إلا في صباح اليوم التالي ، لأفكر في كل شيء ، وحدي مع نفسي

في الاستراحة خلعت ملابسي ، و ألقيتها على السرير الآخر كما اتفق و جلست بملابسي الداخلية ، و استخرجت الخطاب من المظروف

« .. شهران و أخبارك قد انقطعت عنى يا مجرم .. ألم توحشك حبيباتك الصغيرات .. افرض أنك غضبان منى ، ألا تشتاق و أنت في غربتك إلى من يشتمك ، و يعكنن عليك حياتك .. فعلاً أنت إنسان لا ينفع فيك الطيب .. ( و الله أنت هي المجرمة بحق و حقيق ، و لا

فائدة معك أبداً ) و ضحكت ... ما رأيك ؟ أنا مستعدة أن أصدر إليك كل أنواع الشتائم و بالمجان أيضا ، فقط اكتب إلينا و أنا أعدك ، أنى سأملأ ، و أسود لك صفحات كتاب من كل سب جميل .. عنوانك - يا ذكى يا أبو الإفهام ، يا محترم - عرفته .. فقد ذهبت إلى الوزارة ، بعد أن طال غيابك ، فعرفت أنك تعمل في الوادي الجديد ، و ليس في قنا كما كذبت على يا سيد و أستاذ الكاذبين معي الآن نشرة نقلك .. ها هي أمامي الآن و اسمك يلطخها .. لقد أتاني بها أحد الفراشين بجنيه .. هل فكرت أنني لن أستطيع الوصول إليك أينما كنت ؟ .. طبعاً .. اعتقدت في ذلك .. لأنك غبى جدا .. و أنت تعلم ذلك علم اليقين .. عارف لو أنك مت ( يا رب تموت يا رب ) و ظننت أنك بموتك هذا .. أنك بعدت عنى ، فسوف أموت ايضا ، و لكن طبعا بعد أن أشبع من الدنيا، و أفرح بكل شى فيها .. سآتيك فى الآخرة ، لأشدك من شعرك وأجرجرك على الأرض ، حتى يسيل دمك كله و تشربه الأرض .. هذا إذا كان عندك دم يعنى .. صدقنى ، أنت أعظم مجرم ، و أغبى الأغبياء .. تترك البنات - يا عينى - بلا نقود ترسلها ، و تعتمد على مرتبى و أنا واحدة ست .. هل يعجبك هذا ؟ .. البنات دائما يسألن عنك هو بابا فين ؟ .. و الله ، و الله أنت لا تستاهل ظفر أى واحدة لأنك ابن ... لن أشتمك .. و سأترك لك اختيار أى اسم و أى شتيمة على كيفك ) .. اسمع .. تعال بسرعة فإن لسانى يأكلنى عليك كأن به إكزيما الصدأ .. و يدى من قلة الضرب فيك ستضعف .. هل ترضى لى هذا ؟ .. إنى أعدك بشرفى حين تعود إلى سأظل أشتمك ، و أشتمك حتى أشبع و تشبع أنت مثلى ...بعد ذلك سأدخلك الحجرة معى ، و أغلقها علينا بالمفتاح ، و أظل أضرب فيك بالأرجل و اللكاكيم .. حتى يبان لك أهل .. و إن شاء الله لن يبان لك أهل أبدا .. احضر يا أصغر مخ رأيته فى حياتى .. احضر يا مقرف .. احضر يا جبان .. يا ابن ... ( اختر أى اسم يزعلك ويغضبك)

و أخيرا لك قبلاتى و حنينى و أحضانى التى هى خسارة فيك يلعن أبو دمك ...زوجتك التى لا تعرف كيف تحبها كما تهواك ، و تتمنى أن تأكلك على بعضك .. لتهضمك على مهل.

و ضعت الخطاب على السرير .. أمعقول هذا ؟ !.. إنه الحب إذن .. آه يا زوجتى لو كانت كلماتك معى و أنا معك - مثل هذه لأحببتك الحب كله .. و لدخلت فى أعماقك مندسا و ما خرجت .. أنا أعرف أنك لا تعرفين معى التوقير .. و لغتك معى هى السباب كله ، و لكن هذا السباب المسطور ، هو أجمل سباب أقرأه منك ،رغم أنه حارق لاسع كاللهيب .. لكنه - مع ذلك - فتان ، فتنة جسدك الساحر ينساب إلى العروق كانسياب دماء الحياة ، يتراقص فى قلبى كالسعادة و يهتز أمامى كاهتزاز شعرك الجميل أمام عينى

غفوت قليلا من شدة الفرح.. و لكنى صحوت فى المساء ، و برأسى صداع ثقيل ، و فى روحى اكتئاب عليل .. لماذا لا أعرف . لقد نمت سعيدا حقا ..فما الذى حدث لى يارب .. إن ثمة شى يفح فى أعماقى فهذا الحب الذى يتزين بأثواب العداء .. ليس على روحى جديدا فقد خبرته منها فى ساعات الصفاء اللذيذ - و ما أقلها من سويعات - أما الزمن الذى يتبقى ، و هو طويل - طول الدهر ، فممتلأ بشتم حقيقى و عبوس جاد .. و ربما تماسك بالأيدى

هل أعتبر هذا الخطاب خدعة تدبرها لى على أن أحذره منها .. إذا عدت إليها ستساقينى كئوس اللذة دهاقا ، و سنجرعها معا فى انتشاء محموم .. إنى بها عليم .. لكن هذا الشىء الجميل ، اللذيذ لا تمنحه أبدا إلا بعد انقضاء وقت طويل كما الصحراء ، ترنو إلى السماء ، فى ذلة و انكسار ، و تصرخ لها عطشى بلا نهاية ، و تتمنى منها القطرة الواحدة من الماء تمتصها لتبل صداها ، حتى إذا جادها المطر كان

سيلا ، راعبا ، جارفا ، لا يبقى شيئا و لا يذر .. أنت يا زوجتى هكذا نتخاصم بالأجساد أياما ، و شهورا بلا عطف أو حنان – حتى إذا أثبت إلى وتنازلت اكتسحنى حبك جبارا مزلزلا ، ينجرف فيه كل غضبى ، وكرهى لك و تغتسل نفسى بحبك كما تغتسل الأشجار فى الصحراء ، بعد أن صوحت منها الأوراق

هل إليك أعود .. و أنت من أنت !! و هذا الهاجس الحكيم ، المستكين فى أعماقى يحذرنى فى صمت صموت أننى إذا عدت .. عادت كل الاشياء الممرضة ، و الراعبة معنا .. و ستجف أوراق أشجارى ، وتتساقط بددا أمام عواصفها العواتى .. إننى أخشى يا زوجتى منك هذا الصوت الذى ينادينى بحنان ، أخشاك نداهة بندهتها .. أخشاها تشدنى من ساقى لتغرقنى فى بئر عميق بلا قرار .كلا .. لن أعود ، وسأظل ماكثا هنا حتى يشاء الله أمرا كان مفعولا

ثم أطبق الصمت على طويلاً .. ثم وقفت حائراً و لكنى – مع ذلك – سأذهب إليها بين الحين و الآخر . ثم جلست على السرير ..لا من أجلها .. و لكن من أجل هاته الصغيرات الجميلات سأذهب فأنا في أشد الأشواق إليهن .. نعم يا حبيباتي .. سآتى إليكن .. نعم سآتى من أجلكن لا من أجل أمكن المنكودة ... و عندئذ سالت عيناى بالدموع . يا رب أستغفرك و أتوب إليك . ارحمني يا رب .. و انفجرت في بكاء عميق

- تمت-

# عودة عبد السميع افندى

عندما دخل علينا عبد السميع افندى الفصل يوم الأحد الماضى علمنا أن مفتش اللغة العربية سيشرفنا بزيارته اليوم و كان مصدر معرفتنا بذلك الأمر الخطير حقا هو هيئة الأستاذ نفسه فقد دخل علينا الرجل فى الحصة الثالثة و قد ارتدى حلته الزرقاء الأنيقة التى يدخرها فى مثل هذه المناسبات النادرة كزيارات المفتش أو احتفالات المدرسة بالأعياد القومية فى المناسبات المختلفة

- هوه المفتش جاى يا بيه ؟

و كان السائل زميلنا حمدان المؤدب الوقور الذى يجلس خلفى مباشرة فجاء سؤاله الساذج قنبلة من الضحك انفجرت فى توها وعلى غير ما يتوقع الفصل خاصة و أن الشائعات الكثيرة تملأ المدرسة من أدناها إلى أقصاها بأن عبد السميع افندى لا يرتدى حلته الزرقاء الأنيقة إلا فى أيام المناسبات المعدودة فحسب

- و بعدين يا جماعة خليكوا رجالة شوية

و خفتت الأصوات قليلا تحت عتاب الأستاذ الجاد إلا أن بسيونى الذى يجلس بجانبى عاجله بقوله :

- يعنى حضرة المفتش جاى يا بيه

- ايوه ....ايوه ...و اياكوا تكونوا مذاكرين

و عندئذ طلع علينا صوت صالح فجأة و كأنه يخطب :

- اطمئن يا بيه بس خليه ييجى و تتفرج ....

- طب يا خويا اياك متكسفناش لما ييجى

و استدار إلى السبورة و كأنه و قد اقتنع تماما بأنه لا فائدة ترجى من مناقشة مثل هذا الصنف من التلاميذ و جعل فى هذه اللحظة يمسح السبورة فى نشاط عظيم لم نعهده فيه من قبل غير أن زميلى « بسيونى » الشقى انحنى على أذنى فى جد متصنع و همس فى سرور :

- حجة البليد مسح التختة

و أخذ جسده النحيل يهتز فى ضحكات سريعة مما جعل الأستاذ يلتفت إليه و يعنفه فى حزم متصنع و تعنيف عبد السميع افندى لبسيونى لم يكن أكثر من نظرة حادة تتوقف فيها عيناه الصغيرتان لحظة أو لحظات و كأنها تقول له : « ما زلت متيقظة لك أيها الشقى العربيد »

ثم يردف اسمه بعد ذلك فى رنة قاسية :

- بسيونى و بعدين معاك

و يسكت بسيونى لحظة ليعود جسده الناحل من جديد فى اهتزاز ثائر بعد لحظات

و أمسك الأستاذ بالطباشير و جعل يكتب التاريخ الهجرى على اليمين و التاريخ الميلادى على اليسار و فى وسط السبورة و بخط جميل لم نعهده من قبل كتب « مطالعة » ثم كتب أسفلها « معركة رشيد » و مع أننا قد أتممنا هذا الدرس قراءة فى الحصة الرابعة يوم الخميس الماضى إلا أن الأستاذ راح يعيده من جديد بطريقة لا نعهدها إلا فى مثل هذه المناسبات النادرة التى لا يجود بها الزمان كثيرا ، أما الهدف من ذلك فواضح جدا « و هو الضحك على ذقن المفتش » و إيهامه بعبقرية طلبته العظام و جهوده العظيمة فى الشرح و التفهيم....

و أشار الأستاذ إلى « الحدئ » بالقراءة و « الحدئ » هو « ابراهيم

جمعـه » الـذى يجادلـك أبـدا و عـلى الـدوام فى الحـق و الباطـل عـلى السـواء و لعـل ذلـك هـو الـذى حـدا بعبـد السـميع افنـدى إلى تسـميته بالحـدئ

- اقرا يا حدئ ...الكراسة يا حدئ

بيـد أن هـذه المـرة تنـاسى الأسـتاذ « اسـم الحـدئ » لغـرض معلـوم فى نفسـه و لنـا و هـو ألا تثـار التعليقـات الكثـيرة و خاصـة مـن صاحبنـا بسـيونى الشـقى :

- اقرا يا ابراهيم

قالهـا الأسـتاذ فى هـدوء جـدا و فى رزانـة متكلفـة جعلـت بسـيونى يلتفـت إليـه و يقـول فى صـوت ضاحـك :

- الله ماتروق يا بيه ...إيه الكلام ده بقى ....

بيـد أن عبـد السـميع افنـدى رمقـه بنظـرة جـادة و توقفـت فيهـا عينـاه عـن اللـف و الـدوران

- بسيونى و بعدين وياك النهارده

و جعـل الحـدئ يقـرأ فى صـوت جهـورى و يمـط الحـروف و يهـز يـده اليـسرى فى تمثيـل مصنـوع و يضخـم صوتـه إلى حـد مثير بينـما راح الأسـتاذ عبـد السـميع يهـز رأسـه فى استحسـان و يقطـع القـراءة بكلمـة تشـجيع لا شـعورية :

- عظيم ....عظيم....

و دق البـاب فى هـذه اللحظـة فأجفـل عبـد السـميع افنـدى و جعـل ينظـر إلى البـاب فى هلـع بالـغ و قـد اصفـر وجهـه فى ارتبـاك ملحـوظ وجـرى إلى البـاب يفتحـه فى أدب جـم :

- الغياب يا بيه

و أطل عكاشه « الفراش » بوجهه الأسمر و بطاقيته القذرة وقدم لعبد السميع افندى ورقة الغياب و بسرعة وقع الأستاذ عليها وأعطاها للرجل :

- العدد كامل مظبوط ، مفيش حد غايب النهاردة

و ابتسم عكاشة ابتسامته البلهاء و خرج .....و استمر الحدئ فى قراءته من جديد و لكن فى هذه المرة بطريقة مثيرة جدا و ما أن شاهد بسيونى هذا الإنصات الموهوم من التلاميذ حتى راح يسأل الأستاذ أسئلة شتى تخفى فى طياتها السخرية و الفكاهة معا و أخذ الرجل المسكين – على الرغم منه – يجيب عليها فى هدوء متصنع ليخفى غضبه المكبوت على هذا الشقى اللعين

و انفتح الباب فى هذه اللحظة و أطل « عكاشة » بابتسامته البلهاء و فى صوت أجش أشبه بالسخرية قال :

- المفتش مشى

- مين قال كده ؟

- حضرة الناظر بيقول يمكن ييجى بكره

- طيب متشكر

و التفت عبد السميع افندى إلى ابراهيم و قال و هو يشير بيده :

اقعد يا حدئ الله يخرب بيتك ....ارفتنا الله يإرفك يا بعيد وصفق بسيونى فى سرور عظيم و هو يقلد صوت الأستاذ :

- عظيم ....عظيم ....

ثم أردف الشقى فى مرح أعظم و هو يصفق فى تهليل :

- يا عيش ....يا عيش...عبد السميع افندى رجع لينا تانى

و سادت الفوضى الفصل لحظات عديدة كان عبد السميع افندى قطب رحاها أما بسيونى و صالح و زهران فقد اقتنصوا الفرصة التى لا تعوض فراحوا يتضاحكون و ينثرون النكات حولهم فى مرح صاخب بينما وقف عبد السميع افندى يبتسم و يدق بيمناه السبورة ليسود السكون

- كفاية ...كفاية يا جماعة

و ساد الصمت قليلا

- و لكن يا بيه ....

- اسكت يا زهران خلينى اتكلم بقى

و زهران هو أحد اعمدة التهريج فى الفصل مثله فى ذلك مثل بسيونى الذى يجلس على يمينى فكلاهما لا يدع الفرصة تفوت عليه إلا و يشبعها ضحكا و تهريجا ...

- و لكن يا بيه....

- و بعدين وياك يا زهران ، احنا يا جماعة متأخرين فى البلاغة وحناخد الحصة دى بلاغة

بيد أن أصواتا من أمكنة شتى قاطعت الأستاذ :

- و لكن يا بيه ماجبناش كتاب البلاغة معانا ....

- أنا عارف....أنا عارف....أنا حا اشرح بس خودوا بالكوا و خلاص ولما الواحد منكوا يوصل البيت يبقى يذاكر ....

و عندئذ صرخ زهران من مكانه البعيد

- طيب اللى مش حيوصل النهاردة

و عندئذ ضج الزملاء بالضحك و أخذت ضحكاتهم تستحيل فى سرعة إلى قهقهات مريعة ، راح الجميع يتبارى فى إخراجها بنغمات مختلفة

- يبقى يوصل بكره و اللا عنه ما وصل

و ضحك الأستاذ و ضحكات الزملاء تتعالى و كأنها ضحكات الشياطين و راح عبد السميع افندى يمسح السبورة و يكتب « بلاغة » و من أسفلها « القصة »

و خفتت الضحكات قليلا ريثما تتعالى من جديد على تهريج بسيونى

- و الله باين عليها قصة طويلة مش خالصة فى سنتها دى

و دق الباب

- خش ...افتح....

قالها عبد السميع افندى بصوت جهورى عالى النبرة و انفتح الباب .... فإذا ....

و عندئذ أجفل عبد السميع افندى و قد غاض الدم من وجهه وفجأة و بصوت مصدوع النبرات ، صرخ فينا قائلا :

- قيام ...

و دخل المفتش فى سكون محييا بإيماءة صغيرة و انتحى بعيدا بخطوات واسعة وقورة ...

- جلوس

- الحصة دى يا أستاذ عبد السميع مش مطالعة فى الجدول

قالها المفتش و هو يتفحص تعبيرات الأستاذ بوجه جامد ثم صمت فجأة و راحت يسراه تخرج من جيب سترته الداخلى كراسة صغيرة

- ايوه يا افندم ....بس ....

و سعل عبد السميع افندى عندئذ ريثما يلتقط أنفاسه اللاهثة وقد بدا عليه الإحراج

- أصل ..احنا متاخرين شوية فى البلاغة فاستعرنا الحصة دى من المطالعة للبلاغة

و ابتسم الرجل فى خجل و كأنه يعجب لكلمته الرائعة « استعرنا» و سكت المفتش و لم يعلق بشىء و ابتعد جالسا فى مكانه فى آخر الفصل و قد بدا على وجهه الصامت بعض الاقتناع

- لا ريب أنكم جميعا قد قرأتم قصصا

و سكت الأستاذ لحظة و قد أطرق برأسه قليلا ثم استطرد....

- فالقصة من أكثر فنون الأدب اجتذابا للقراء بل هى قد أصبحت فى هذا العصر مثلما كان الشعر فى عصر الجاهلية و القرون الأولى التى تلت الاسلام و لعلكم تذكرون من الدروس السابقة فى النصوص أن القصة فن حديث فى أدب العرب دخلت بدخول الغرب و اتصال شباب أمتنا الذين أصبحوا رواد هذا الجيل بأدب أوروبا العظيم فكان أن ظهرت الأقصوصة المترجمة و أن حاول بعض مثقفينا من أمثال «هيكل» أن يكتبوا الرواية كما فى قصة « زينب » التى كتبها و هو يطلب العلم بباريس

و سكت الأستاذ هنيهة و استطرد فى صوت هادئ :

- و لكـن هـل سـأل أحدكـم نفسـه يومـا مـا الـذى يدفعـه إلى قـراءة القصـة جميعهـا و يثابـر عليهـا حتـى يـأتى عليهـا قـراءة بكاملهـا ؟

و عندئذ رفع ابراهيم جمعه يده :

- ايوه ...اتفضل انت ...

و نظـر بسـيونى إلى و ابتسـم فى سـخرية و ضرب حـذائى بحذائـه و سـعل فى تكلف

- لأن التشويق الذى بها يدفع بالقارئ إلى الإتيان عليها

- أحسنت ...اجلس

و أبرقـت عينـا الأسـتاذ و ابتعـد نحـو السـبورة و قـد تشـابكت يـداه وابتسـم و عينـاه تتبعـان قلـم المفتـش و هـو يجـرى عـلى السـطور

- لقد لمس زميلكم روح القصة و حياتها حقا

و اتسـعت الابتسـامة عـلى فمـه و كأنـه قـد سر مـن تشـبيهه العظيـم الـذى جعـل فيـه التشـويق بمثابـة الـروح و الحيـاة مـن القصـة

- التشـويق هـو الأسـاس الأول الـذى لابـد منـه للقصـة و الروايـة و لكـن ثمـة شى آخـر .... أقصـد هنـاك شىء يدفـع بهـذا التشـويق ...فهـل أحـد منكـم يعرفـه ؟

و لم يعـرف واحـد منـا هـذا الـشىء الـذى يقصـده الأسـتاذ حتـى ابراهيم جمعـه أسرع فأنـزل يـده بعـد رفعها

- حسـنا لقـد نسـيتم الموضـوع و الحـوادث ... أجـل ... إن للقصـة موضوعـا تعالجـه و تحـاوره و للموضـوع حـوادث تربطـه و تنميـه حتـى يتكـون للقصـة كيـان و هـدف تسـعى إليـه و لنـشرح ذلـك بتفصيـل أكـثر و لنـضرب لكـم مثـلا بقصـة أى قصـة فـما هـى آخـر قصـة قرأهـا أحدكـم ؟

و رفع زهران يده الطويلة

- نعم يا زهران ؟

- قصة لقيطة

- نعم قصة لقيطة « ليوسف السباعى »

و حينئذ تكلم المفتش متدخلا

- تقصد .. «محمد عبد الحليم عبد الله »

و عندئذ غاض الدم من وجه الأستاذ و قد اضطرب فى يأس كنبت اقتلعته الرياح و قد اتسعت حدقتاه بينما تعلقت على فمه ابتسامة متغضنة يائسة سرعان ما استحالت إلى تقطيب عابس

- لا تؤاخذنى فقراءاتى فى أدب القصة قليلة و معظم قراءاتى كما تعلمون فى الأبحاث و المقالات

و للمرة الثانية راح بسيونى يضرب حذاءه فى حذائى و يسعل فى صوت مسموع ردده زهران بدوره فى آخر الفصل من مكانه البعيد وتلك إشارات و اصطلاحات كإشارات التلغراف لا يفهمها إلا من كان فى شقاوة بسيونى و زهران إشارات و كلمات لها مضمونها و ما يدل عليها فى الوقت الذى يعز فيه الكلام بيد أن عبد السميع افندى لم تفته وهو الذكى الأريب هذه الإشارات الخرساء دون أن يلتقطها و يفهم شفرتها و يفسرها لنفسه ليخفيها فى باطنه ...

و لم يستمر عبد السميع افندى كثيرا إذ راح المفتش يسألنا أسئلة شتى فى النصوص و البلاغة و المطالعة فما كنا نجيب عنها إجابة مقنعة ....و كلما وقف أحدنا يجيب سؤالا هز المفتش رأسه الضخم و قلب شفتيه فى امتعاض و قد رفع يده كعسكرى المرور

- أخطأت اجلس

و يجلس الطالب و هو يزمجر و يجمجم بينما وقف عبد السميع افندى وراء الرجل يحك يديه و وجهه يعروه انكماش و تقطيب و عيناه تتدحرجان يسارا و يمينا و تتسعان و تضيقان و يبدو أن منظر تلعثم الأستاذ قد راق لبسيونى كثيرا حتى أخذ يمعن فيه النظر و يبتسم وقد وجه جوارحه جميعا ليسجل حركات الأستاذ فى دقة ليستعيدها بتقليده بعد انتهاء الحصة كعادته المرحة مع حال أساتذته و لم يرفع يده حتى فى إجابة واحدة و كان الأمر لا يعنيه أبدا

أما المفتش فقد بدا عليه الغضب و كان يقول للأستاذ فى كل مرة يخطئ فيها واحد منا ....

- لا يا أستاذ عبد السميع دول مش مذاكرين خالص

و يضحك عبد السميع افندى و يقول فى خجل يبعث على الضحك

- مع أنى أتعب معهم و الله

و لم تستمر المعركة طويلا إذ خرج المفتش على عجل و هو غير راض عنا كثيراً

و انتهزها عبد السميع افندى فرصة سانحة ليكيل لنا صاعا أو صاعين من سخرياته المضحكة

- يا عالم امتى تبقوا بنى آدمين مفيش مذاكرة خالص الله يكسفكم ملاعين....الراجل يقول ايه بس

- يقول رضا هو حد طايل

و كان هو زهران و لم ينتظر الزملاء حتى راحوا يتضاحكون فى جلبة

- ايوه .... آدى اللى نافعين فيه انتوا عاوزين تنجحوا ...انتوا فقال

بسيونى فى صوت أجش

- و نخش الكلية كمان ...

و لكن عبد السميع افندى تجاهل كلماته و راح يتعجب سائلا :

- حاجة عجيبة ازاى عكاشة المغفل يقول انه مش جاى و ييجى الراجل ده

- بلاوى يا بيه تقول ايه بس

و كان صاحب الكلام « الحدئ» أما بسيونى فقد علق بقوله

- عشان تعرف سيادتك اننا ناس لازم ترجع لينا المفتشين من نص السكة امال ....لازم

و فى الغد علمنا كل شىء

فمفتش اللغة العربية لم يكن هو الذى اعتذر عن انصرافه وعودته بل كان هو مفتش الرياضة حتى إذا انصرف هذا نادى الناظر عكاشة و أمر بأن يخبر عبد البديع افندى بذلك و يبدو أن تشابه الاسمين قد اختلط فى عقل الشاب الطيب عكاشة فخلط بين عبد البديع افندى و عبد السميع افندى فذهب يخبر الأخير حاسبا أنه قد أدى الأمانة كاملة غير منقوصة و أنه لا فرق بين هذا و ذاك فكلاهما متعلم و كلاهما أستاذ و كلاهما منّى فى يومه بمفتشين كناكير و نكير

**- تمت -**

**يوليو ١٩٦٠ م**

# البــدلة

كان كل مـا يأملـه عفيفـى أفنـدى الموظـف بمصلحـة الشـهر العقـارى بالإسـكندرية فى الأيـام الأخـيرة هـو أن يشـترى بدلـة جديـدة مـن نـوع الفانلـة إذ أن البدلـة الحاليـة ذات اللـون البنـى الماحـل و التـى يرتديهـا الآن أصبحـت شـيئا لا يصـير حقـا فقـد توسـخت الياقـة بشـدة و بشـكل يدعـو إلى الاشـمئزاز و التقـزز و مـع أنـه كان يجهـد نفسـه كثـيرا فى تنظيفهـا إلا أن التزييـت كان قـد اسـتقر عليهـا نهائيـا و إلى الابـد أمـا أكمامهـا فلـم يكـن حالهـا أصلـح مـن الياقـة بطبيعـة الحـال فقـد تآكلـت مـن أطرافهـا بفعـل العـرق و الأوسـاخ المتراكمـة عـلى مـر الشـهور أمـا البنطلـون فهـو أكـثر أجزاء البدلـة تأثـرا بعـوادى الزمـن فقـد نخلـت مؤخرتـه بحكـم الجلـوس الكثـير مـما اضطـر معـه عفيفـى افنـدى إلى ترقيعـه بقطعـة مـن الصـوف التـى تشـبهه فى لونـه كثـيرا

كان عفيفـى افنـدى أكـبر أبنـاء المرحـوم الأسـتاذ «عبـد العـال بيومـى » الموظـف بمصلحـة الـرى بالإسـكندرية سـابقا .... و الحـق يقـال أن عفيفـى افنـدى قـد تمتـع مـن والديـه بـضروب التدليـل كثـيرا بـل و أكـثر مـما تمتعت بـه إحـدى شـقيقاته الخمـس ...و لكـن الأيـام لا تسـير فى هـدوء أبـدا عـلى الـدوام فلابـد مـن العواصـف و الأعاصـير لتكتسـح أى شىء فى طريقهـا فـكان أن مـات الأب « عبـد العـال افنـدى » فى سـن الخمسـين تـاركا وراءه هـذا الحشـد الهائـل مـن البنـات

و هكـذا لم يـرث عفيفـى افنـدى مـن والـده المرحـوم غـير خمـس شـقيقات أكبرهـن فى السادسـة عـشر مـن عمرهـا و أم عمرهـا عـلى مشـارف الأربعـين ....هـذا فضـلا عـن بعـض الديـون الصغـيرة التـى انتقلـت بالضرورة إلى عفيفـى افنـدى كحسـاب عـم حسـنين البقـال و المعلـم ابراهيـم الجـزار

مـما اضطـر معـه عفيفـى افنـدى تحـت ضغـط هـذه الظـروف الطارئـة إلى تـرك المدرسـة الثانويـة نهائيـا و الالتحـاق بمصلحـة الشـهر العقـارى بالإسـكندرية و لعـل هـذه الأمانـة الضخمـة هـى التـى كانـت تـؤوده وتدفعـه إلى الشـكوى عـلى الـدوام

- لقد ضعت و انتهت حياتى

كان لا يفتـأ بقولهـا فى حـرارة و فى حـسرة لنفسـه و للنـاس جميعـا وحينـما يشـتد بـه اليـأس و يتملكـه الحـزن يقـول فى صـوت سـاخط قانـط :

- مـا ذنبـى أنـا لقـد كنـت آمـل أن أصنـع نفـسى و أغـدو شـيئا مـا لقـد تحولـت إلى بقـرة عجفـاء عليهـا أن تديـر سـاقية الأسرة حتـى المـوت ....لافـكاك ....هكـذا أصبحـت حيـاتى كان زمـلاؤه فى المصلحـة يرثـون لـه ويتحـسرون عـلى شـبابه الغـض الـذى بـدأ يذبـل و يمـوت تحـت ضغـط هذا البـلاء العظيـم الـذى منـى بـه و لقـد حدثـت لـه منـذ عـام تقريبـا حادثـة صغـيرة جعلتـه يكـره الحيـاة حقـا و يتمنـى عليهـا المـوت .....

فقـد ذهـب يومـا كعادتـه إلى المصلحـة و كان اليـوم حـارا سـاخنا تـكاد تلتهـب فيـه الانفـاس....و أخـذ زمـلاؤه يتنـدرون عليـه بالضحـك و يداعبونـه فى مـرح لا يخلـو مـن سـخرية و يقولـون لـه :

- كيـف تطيـق يـا عفيفـى افنـدى ارتـداء الجاكتـه فى هـذا القيـظ الملتهـب و كادت ضحكاتهـم تمـر بسـلام لـولا أن قـال عطيـه افنـدى بصوتـه السـاخر الأجـش

- البدلـة يـا عفيفـى افنـدى بكـت و اشـتكت ...امنحهـا راحـة يمنحـك اللـه أجـراً و ضـج الزمـلاء بالضحـك فتـدرج وجـه عفيفـى افنـدى بإحمـرار خفيـف و لكـن مـع ذلـك جعـل يضحـك معهـم عـلى نفسـه و لكـن الحقيقة كانـت غـير ذلـك تمامـا فلقـد كانـت ضحكاتهـم أشـبه بجبـل ينهـار فـوق

رأسه و حتى ضحكته هو تحولت فى داخله إلى أنين و صراخ كالعواء ومن يومها و عفيفى افندى يعانى فى نفسه ألما باطنيا لا حد له و من ثم كان كل ما يأمله من الله هو ان يبدو فى مظهر لائق أمام زملائه فى المصلحة و لكن كيف السبيل إلى شراء بدلة و مرتبه الذى لا يتجاوز العشرة جنيهات يتخطفه البيت و السكن و البقال و الجزار .....و حتى مصروفه الشهرى لا يتعدى الخمسين قرشا تعطيها أمه له فى مطلع كل شهر جديد لتستر جيبه على حد قولها....مع أن هذه الأم كانت تعطيه بعينها – و ذلك قبل وفاة والده و هو ما زال طالبا بمدرسة الإسكندرية الثانوية – جنيها , و ربما جنيهين و مع ذلك استطاع بهذه القروش المعدودة الاشتراك مع زملائه فى المصلحة فى جمعية صغيرة كل امتدادها أربعة جنيهات و كل حياتها ثمانية أشهر

- و هكذا وجد عفيفى افندى بعد أن تسلم جمعيته فى الشهر الأول أنه حاز على أكبر مبلغ فى حياته و هو أربعة جنيهات ... و مع أنه كان يعلم بتفاهة مبلغه الضئيل و إدراكه للحقيقة الجميلة التى كان يعيش فيها قبل وفاة والده ... إلا أن الجنيهات الأربعة كانت بالنسبة لحياته الحاضرة ثراء ما بعده ثراء و كنز دونه كنوز قارون و كسرى بل إنه فى الحقيقة راح يستغرق فى أحلام اليقظة إلى حد التركيز و الاستغراق وجعل من ثم يتخيل نفسه و قد اشترى بدلة جديدة من نوع الفانلة و أصبح كلما رأى فى الطريق شخصا يلبس بدلة جديدة راح يمنى نفسه و يعللها بشراء بدلة مثلها إن لم يكن أحسن منها و كان يقول فى نفسه عند ئذ

- نعم و سأكون بالتأكيد أحسن من هؤلاء جميعاً ....ثم يبتسم لنفسه فى استحسان و كأنه يشجع أحلامه على التعدد فى رأسه الصغير

- حسنا إنهم لا يحسنون لبس البدل كثيرا

ثـم يـدق الارض بقدميـه المعروفـين و يقـول فى لهجـة المعتـز الواثـق بنفسـه

- سـوف أعلمهـم درسـا فى الـذوق و الجـمال ... و مـن يـدرى فربمـا تعجـب بى فتـاة جميلـة فتمنحنـى حبهـا ...و عندئـذ ينفتـح صـدره فى زهـو و كبريـاء و يمتلـئ جسـده بحيويـة عجيبـة

أمـا أنـا ... حسـنا .... فسـأعرض عنهـا بـكل تاكيـد لتـدرك تمامـا و جيـدا أننـى رجـل ليـس سـهل وقوعـه فى حبائـل النسـاء و الغـوانى

لم يخـبر عفيفـى افنـدى والدتـه بأمـر هـذه الجمعيـة ، فلقـد كان يعلـم علـم اليقـين أنـه لـو أخبرهـا بكنـزه إذن لانتهـى كل شىء و باتـت البدلـة فى خـبر كان و مـا عليـه بعـد ذلـك إلا أن يتابـع حياتـه فى هـذه البدلـة ذات اللـون البنـى الماحـل

و فى سـاعة الأصيـل حـين خـرج عفيفـى افنـدى مـن المصلحـة توجـه إلى محـلات القـماش فى شـارع المنشـية

و هنـاك فى أحـد المحـلات وقـف ينظـر باعجـاب و يقلـب بـين يديـه مجموعـة مـن الأقمشـة الصوفيـة

- كم ثمن هذا النوع و بكم ذاك؟ ....نعم هذا اللون

و كانـت الأسـعار مرتفعـة جـدا ....و عندئـذ لمـح عفيفـى افنـدى ثوبـا ضخـما مـن قـماش الفانلـة كان الرجـل قـد أنزلـه و أبعـده عـن عينيـه

- أرنى هذا القماش من فضلك

- هذا القماش؟

و أشار الرجل حيث أشار عفيفى افندى

- إنه لعمل السراويل فقط

- آه أرنى إياه إذا سمحت

و أمسك البائع بثوب الصوف فى غضب مكبوت و فى سخط غاضب قدمه إليه و جعل عفيفى افندى يقلب القماش بين يديه فى إعجاب و يتحسسه فى حسرة

- إنه من نوع ممتاز...حسنا كم ثمن المتر منه

- ثمن المتر جنيهان و نصف الجنيه

قالها الرجل و هو يشيح بوجهه بعيدا

- جنيهان و نصف !! .... إنها غالية جدا

و سكت عفيفى افندى ريثما يزدرد أنفاسه اللاهثة ....ثم استطرد فى مرارة و كأنه يحكى قصة حياته

- هذا النوع ...هذا النوع ينفع البدل ...أو تظن أننى لم ألبس بدلا يا صاحبى على الإطلاق .... إننى كنت تلميذا ... و كنت أرتدى أغلى الاقمشة و لكنها الأيام فقط

- نعم هى الأيام ....

و تهدج صوت الفتى إلى حد يبعث على السخرية و أخذت أنفاسه تتهاوى و كأنه يحس بشيء ثقيل يجثم على صدره ....و شيء ما يبكى فى نفسه و يصرخ بأعلى صوته

و لما لم يجد عفيفى افندى بغيته فى هذه الاقمشة جميعا خرج على استحياء محزون و البائع ينظر إليه فى نزف ساخط و فى غضب مكبوت يكاد يتحول إلى مشاجرة

و فى حانوت آخر وجد نفسه يعيد الكرة من جديد و لكنه ما تم أن قال و قد امتلأ قلبه حسرة و هو يرى الأقمشة التى يتمناها تحمل

أرقاما خيالية و كأنها تتبارى فى الغلو و الارتفاع

- أريد نوعا من القماش أرخص من ذلك بكثير قماش بجنيه مثلا

- و لكن لا يوجد أقمشة صوفية بجنيه يا حضرت

- أرخص قماش إذا كان ذلك ممكنا

- و راح البائع يقدم له مجموعة بسيطة من الأقمشة المتواضعة كلها ذات ثمن واحد جنيه و نصف

و اختار عفيفى افندى من هذه الأقمشة أحسنها لونا....و فى لحظات خاطفة بدأت الأشياء تختفى أمام عينه و بدأ يعود بذهنه سريعا إلى الوراء منذ ستة أعوام مذ كان فى الخامسة عشرة من عمره فمن هذا المحل اشترا له والده بدلة جميلة ذات لون بنى كان ثمن المتر منها ثلاثة جنيهات

كانت جميلة رائعة و حينها ذهب بها إلى المدرسة لأول مرة استقبله زملاؤه فى تهليل رائع و هم يغبطونه على هذه الأناقة الرائعة التى تبدى فيها

- اش ...اش ...ما هذه الأناقة يا عفيفى

كان يومها يرتدى بدلته بكاملها و قد طوق عنقه برباط عنق فخم جميل بينما أمسك بيده اليمنى حقيبته الجلدية فكان فى منظره يبدو كأستاذ أنيق قد وفد عليهم من مكان ما ..... آه .... يا لها من أيام

- مبروك يا أستاذ

و تنبه عفيفى افندى و قد طارت الذكريات بعيدا عن رأسه كما لو كانت طيورا أجفلت من صوت هائل

- بارك الله لك

قالها عفيفى بصوت أثقله الهدوء و كأنه يحلم من خلال نوم عميق بيد أن منظر البدلة و تحقيق حلمه كانا كفيلين بتبخر أحزانه و تناسى ماضيه...

و عندما احتواه الطريق كان الرائى له و هو يحمل اللفافة الصغيرة فى يده لابد و أن يعجب لهذا الزهو العظيم و تلك الفرحة العارمة اللذان ارتسما على وجهه آنذاك

و أمل فى نفسه - بعد أيام - و أن يحيكها فى مدى شهر على أقصى تقدير ...بيد أن الشهر الذى تلى ذلك ازدادات حالته المالية سوءا فما عليه أن أرجأ تفصيلها من جديد للشهر الذى يليه

أما هو فكان طوال تلك الأيام يحن حنينا جارفا إلى البدلة وعندئذ كان يختلى بنفسه و يمسك بقطعة الصوف بين يديه و يفردها على جسده ثم ينظر إلى نفسه فى المرآة و هو يحرك رأسه يمنة و يسرة ثم يبتعد و يقترب من المرآة حتى يرى عن كثب و بعين خياله مدى روعة بدلته حين التفصيل

كان يفعل ذلك فى أوقات متقاربة و كأنه اكتفى من بدلته بالنظر إليها و فردها على جسده النحيل و الاستغراق فى أحلامه اللذيذة

غير أن سوء الحظ لازمه على طول الخط فلم يتمكن من تفصيلها فى الشهر الذى يليه بل إن شهورا كثيرة مضت حتى أصبحت ستة شهور ....بينما ظلت أحواله المالية تهبط إلى الحضيض فى إصرار عنيد ... إذ أن إحدى شقيقاته كانت قد مرضت و طال مرضها و يبدو أن طول الوقت و مرور الأيام فى تعاقب جعل عفيفى افندى ينسى بدلته أو أنه كان يتناسى ذكرها و كان دائما ما يكرر هذه الحكمة القديمة لنفسه

- العين بصيرة و اليد قصيرة

كان فقط يمنح الصبر و العزاء و مع أنه كان يجهد نفسه كثيرا فى الاحتفاظ ببدلته الوحيدة على حال حسن إلا أنها فيما يبدو كانت تحتز على جسده الناحل إذ أصبح حالها على مرور الأيام شيئا يبعث فى النفس غثيانا رهيبا و مر ستة أشهر أخرى و قد بدا فيها عفيفى افندى أنه قد كف نهائيا عن ذكر البدلة و ما يتعلق بشأنها بل كان فى بعض الأحايين يتملكه غضب مفاجئ و يود لو ألقى بقطعة الصوف من النافذة لكى تتخطفها كل الشياطين

و كان عندئذ يصرخ غاضبا و يخاطبها بقوله و كأنها تعى ما يقول :

- ألهذا جئت بك لكى تظلين ثوبا غير مخيط فما جدواك ثم لماذا أحتفظ بك و حق السماء يخيل إلى أن ألقى بك من النافذة حتى أستريح منك أو لتستريحي منى يا عزيزتى العزيزة

و فى يوم خلى فيه بنفسه أحس بشوق هائل إلى البدلة فاتجه من فوره إلى صوان الملابس و أخرجها منه ثم جلس على سريره و راح يفردها أمامه و هو يتحسس وبرها فى إعجاب محزون

و فجأة وقعت عيناه على ثقب صغير فيها فما كان منه إلا أن فردها جميعا و عندئذ ظهرت ثقوب كثيرة فى البدلة

كانت العتة القاسية قد أعملت عملها المشين فى بدلتى المسكينة وأمسك عفيفى ببدلته بين يديه و راح يتأملها فى حسرة متألمة

و قد سكتت يداه و كأنها تتألم أو تتأمل فى هذا الشيء العجيب وعندئذ و على حين فجأة انشقت عيناه بدموع غزيرة أخذت تتابخى بسرعة و بغضب جارف لفها بقوة بين قبضتيه و طوح بها إلى الصبيان و استكان وحده يبكى فى تألم و ترامى إليه عبر النافذة صوت المذياع يغنى « توب الفرح يا توب مشغول من الفرحة »

و لكنـه لم يتحـرك و أحـس بـأسى العـالم يتجمـع فى قلبـه الصغـير و تمنـى مـن أعماقـه لـو ابتلعتـه الأرض هـذه اللحظـة

فهـذا العـالم مـن حولـه مـا زال يبعـث إليـه بسـخرياته عـبر الأثـير وأسرع إلى النافـذة فأغلقهـا و عـاد و لكـن الصـوت ترامـى إلى أذنيـه و كأنـه يتحداه

فتبـاكى عـلى الأريكـة شـاخصا ببـصره نحـو بدلتـه و الدمـوع تنهـال مـن عينيـه فى غـزارة و كأنهـا تنسـال أبـدا

**-تمت -**

**أغسطس سنة ١٩٦٠ م**

# كـــوب من الشـــاى

استوقفنى أحد جنود الحراسة عند بوابة الوزارة و هو يقترب منى....

- ايوه يا سيد

توقفت و قلت له :

- انا ذاهب لسيادة الوزير

فقال لى :

- معاك أمر بمقابلة السيد الوزير

- لا... و لكـن سـيادته صرح فى الصحيفـة أمـس أن بـاب مكتبـه مفتـوح باسـتمرار لمقابلـة أى مواطـن فى مشـكلة

ضحك زميله الجالس .... و قال لى و يده تعبث فى شىء يمسكه

- بعـد انتهائـك مـن المقابلـة – إن شـاء اللـه - لـك كـوب مـن الشـاى سـتشربه معنـا . تفضـل و اتـرك بطاقتـك الشـخصية عـلى المكتـب .... و ربنـا يوفقـك

قلت له و أنا أجاريه بابتسامة مثل ابتسامته

- إن شاء الله .... و أنا شاكر جدا فضلكم

و سرت فى طريقـى إلى سـلم الـوزارة صاعـدا .... صعـدت إلى الـدور الثـانى ... فقاطعنـى فى نهايـة الصالـة بـاب مفتـوح و عـلى الحائـط الأيمـن لافتـة معلقـة نحاسـية صغـيرة مكتـوب عليهـا ( الوزيـر )

فقلـت فى نفـسى .... تمامـا كـما قـال الوزيـر فى الصحيفـة بابـه مفتـوح وبخطـوات تعمـدت أن تكـون هادئـة – اتجهـت إلى البـاب لأدخـل ... فـإذا

برجلين – أقسم بالله لم أعرف من أين كانا يجلسان أو يختفيان ...فلم أرهما أبدا و أنا أتجه نحو الباب يسرعان نحوى و يمسكان بى ....

- ايوه يا سيد .... رايح فين؟

قلت فى ثقة

- داخل لمقابلة السيد الوزير

سألنى أحدهما:

- عشان إيه ؟

- سأقدم له شكواى

قال الآخر : فى هدوء

- الدخول لسيادته بنظام .... ادخل لمدير مكتبه أولا

و أشار إلى باب مدير المكتب ... الذى يقع بالقرب من باب الوزير

- اتفضل ادخل و قدم له شكواك

و سار معى خطوتين و فتح لى الباب

- اتفضل

دخلت فوجدت غرفة واسعة .... تكتظ برجال و سيدات كثيرين بعضهم واقف و القليل منهم جالس ... و مدير المكتب يناقش رجلا طويلا .... وهو جالس على مكتبه

نظرت و تمعنت .... فى كل الواقفين و الجالسين و قلت فى نفسى:

يا رب الدور على حيكون أمتى؟

و أحسست باليأس ينتابنى و أنا واقف مع كل الواقفين

يارب ... يا رب رحمتك

بعد اكثر من ساعة جاء الدور على وقفت امام مكتب السيد مدير مكتب الوزير . شرحت له باختصار موضوع مشكلتى .... وأعطيته شكواى التى كتبتها بالأمس على الورق ...فقال لى :

- شكواك....سهلة لا تحتاج إلى وزير ...حلها عند سيادة الوكيل

لم أعلق و لم أعترض كان اليأس يملا قلبى .... و قلت شكرا لسيادتكم و فتحت الباب و خرجت . سألت على مكتب وكيل الوزارة فأشار إلى احدهم إلى مكتبه .... فسرت حتى وصلت إلى باب الوكيل .... فوجدت ساعيا ركز على كرسى

- ايوه يا أستاذ

- إذا سمحت داخل للسيد الوكيل

أشار الرجل إلى لمبة منيرة حمراء فوق الباب ... و قال لى

- سيادة الوكيل فى اجتماع مع كل المديرين

فسألته فى سذاجة معجونة باليأس

- و متى سينتهى الاجتماع . إن شاء الله

رد الرجل و هو ينظر إلى شىء جانبه

- الله أعلم ...

ثم سألنى ... إيه هى شكوتك؟

فقلت له : و أنا أعطيه الشكوى نقلت ظلما إلى محافظة قنا و أنا لم أفعل شيئا

فابتسم الرجل و سكت قليلا و قال:

اذهب إلى العاملين فى الدور التحتانى فسوف يساعدونك و ينظرون فى شكواك إن شاء الله

أشـكرك ..... و تناولـت طلبـى و اليـأس ينشـب مخالبـه الحـادة فى أعماقـى و سـؤال يتأرجـح فى رأسى أذهـب أو لا أذهـب

و نزلـت و وقفـت أمـام البـاب قليـلا و أنـا أتـردد فى الدخـول ... تشـجعت و قلـت فى نفـسى لا تيـأس ... حـاول ... و دخلـت ... كان سـيادة المديـر جالسـا يتكلـم فى التليفـون و أمامـه خمسـة مثـلى واقفـين فى صمـت ... فقلـت فى نفـسى سـأكون سادسـهم حتـى إذا جـاء دورى ... حاولـت أن أتكلـم و أعـرض مشـكلتى فكنـت - ياللعجـب - اتلعثـم ... و أسـكت ... قليـلا ... و أعطيـت لسـيادته شـكواى

فقال لى :

- هل فعلت شيئا أدى إلى نقلك ؟

فقلت له و صوتى مليىء بالاستكان

- و الله يا افندم ما فعلت شيئا

فخبط على مكتبه بكفه

- كل الذين يشكون مثلك يقولون نفس ما قلت

- يا افندم صدقنى

- عـارف .... عـارف.... اتـرك الطلـب و سـنبحث فى موضوعـك هـذا بخصـوص النقـل التعسـفى إن شـاء اللـه اطمـئن

سألت فى رجاء

- و متى اجى لسيادتكم لأسأل عن موضوع الطلب

- لا تحـضر ... فسـوف نرسـل إليـك خطابـا يصلـك فى عملـك إن شـاء اللـه ... و تفضـل مـن غـير مطـرود

و خرجت و التعاسة كلها تملأنى و الغيظ الحارق يدفعنى لأن أسب كل الناس . و بدأت أهبط السلالم و الذى حدث معى لا أكاد أصدقه أبدا .... لقد زلت قدمى و تزحلقت على السلالم فوقعت على ظهرى و انقلب إصيصان موضوعان قرب سور السلالم .... وجدت نفسى أسفل السلالم واقعا على ظهرى و إصيص ملعون مفتوح بطينه الطرى قد وقع على صدرى ..... فعاص القميص و نصف البنطلون بالطين

و حين قربت من بوابة الوزارة و أنا أعرج فى سيرى و بيدى التى تؤلمنى أبعد عن قميصى الطين الذى وسخه

حتى اقتربت من جنود الحراسة . فنظروا إلى و تضاحكوا

- ضربوك هناك و عاصوك بالطين ....

لم أتكلم ....

قال أحدهم .... و لا يهمك يا بطل ألم تقابل الوزير و تخبره بشكواك

فقلت و الدموع تطفر من عينى

- و لا قابلت أى حد

فقال الذى وعدنى بشرب الشاى

- فى هذه الحالة .... لابد أن تشرب معنا كوب الشاى الذى وعدناك به .... أسرع يا معروف بملئ الغلاية بالماء ... و اعمل لنا الشاى ... ليشربه معنا هذا الشاب البطل الذى قابل السيد الوزير

- **تمت** -

**٢٠١٦م**

# الصقر العظيم

١.الاختيار

لم تشهد أرض الجبال من قبل اجتماعا خطيرا كالذي تشهده الآن فمنذ اثنتى عشرة سنة لم ينعقد في أرض الجبال مثل هذا الاجتماع الكبير حقا فقد أقبلت وفود الطير أسرابا لتبايع عليها ملكا جديدا بعد رحيل عاهلها[١] العظيم النسر الذهبي ملك عموم الطير و أرجاء الأرض

مات بالأمس بعد أن نيفت[٢] سنة على المئة، مات بالشيخوخة بعد أن نشر في كل مكان عدلا عز نظيره، بين ملوك الطير كان حكيما وعادلا، فأمنت كل الطيور على أرزاقها، و عاشت في كنفه[٣] سعيدة، مطمئنة، و لو أن أحدا من الطير سولت[٤] له نفسه بالاعتداء على غيره لكان القصاص العادل أسرع إليه من فراره

و الآن يا طيور السماء من يعيد السكينة إليك بعد اليوم ؟ ! .. ويا كل الأطيار من ينشر عليك الأمن، و العدل ، بعد أن مات الملك العظيم، ملك الطيور الأعظم، ملك عموم الطير، و أرجاء الأرض

كان الوقت فجرا، و الشمس الحبيبة لم تزل هناك ترقد على سريرها الأبدى خلف الأفق بينما انتشر ضوء هزيل في سماء بلا ضفاف يعلن للكائنات جميعا عن يقظة الشمس عما قليل أما الهواء فكان يتدافع من خلال أشجار السهول و الجبال نديا رقيقا كأنه الطفل يمرح مع الأشجار و يمشط لها الأغصان

١ العاهل : الملك الأعظم

٢ نيفت : عدد غير محدود ، و هو ينحصر بين العدد (١) و العدد (٩)

٣ كنفت : ضمه اليه و صانه و حفظه

٤ سولت : اغرته نفسه بفعل الشر

طـار نـسر ذهبـي عجـوز فـوق غصـن قريـب جناحـاه الكبـيران الضعيفـان لا يقويـان عـلى حملـه. سـكت قليـلا ريثـما يهـدأ قلبـه المضطـرب و عينـاه الكليلتـان لا تـكادان تبـصران شـيئا في شـحوب الضيـاء.

- يا معشر الطير: اسمعوا لي و أنصتوا

عندئـذ خفتـت الأصـوات كثـيرا فـلا تسـمع إلا همسـا .. كان صوتـه – مـع ذلـك – لا زال قويـا عميقـا صداحـا.

- اسمعوا لي يا معشر الطير أنا الهرم[٥] بينكم

و سكت قليلا و ابتلع ريقه و خفق بجناحيه الطويلين الهرمين

- فأنتـم تعلمـون جميعـا أننـى كنـت مستشـار مليكنـا المعظـم طيـب اللـه ثـراه و جعـل الجنـة مثـواه

- فليرحم الله الملك

قالتهـا أصـوات شـتى مـن جماعـات الطـير حزنـا و أسـفا ... و اسـتطرد النـسر العجـوز مستشـار الملـك

- لعلكـم لا تضنـون عـلى أيهـا الرفـاق و الأبنـاء و الأصدقـاء أن أكـون البـادئ بينكـم بالحديـث إليكـم .... فهـل تراكـم تقبلـون ؟

ارتفعت على الفور صيحات مؤيدة.

- نوافق .. نوافق يا من كنت مستشار مليكنا المحبوب.

- شـكرا لكـم .. أشـكركم مـن كل قلبـي، و لكـن قبـل أن نبـدأ بالاجتماع.. علينـا أن نقـف صامتـين خمـس دقائـق حـدادا عـلى مليكنـا العظيـم ملـك عمـوم الطـير و أرجـاء الأرض

صدعـت كل الطيـور بالأمـر حـالا وقفـت كلهـا صامتـة، خاشـعة...

٥ الهرم : من كبر سنه و ضعفت قوته

رؤوسها ناكسة مناقيرها إلى الأرض حينئذ ساد في الأرجاء صمت عميق، مهيب

- و الآن أيها الرفاق و الأصدقاء و الأبناء، بعد أن أدينا و اجبنا نحو مليكنا المبجل ملك عموم الطير، و أرجاء الأرض. نبدأ اجتماعنا الجليل، فها أنتم ها هنا قد قطعتم الغفار، و طرتم فوق البحار، لتختاروا مليكا من بينكم - إن مليكنا - رحمة الله عليه - كان مشهودا له بالحزم، و العزم عادلا من غير إفراط[٦] رحيما من غير تفريط.

حقا تلك هي الصفات الرائعة التي لا أجد صفات سواها لأتوج بها سيرة مليكنا الراحل العظيم فمن كان منكم حكيما مثله و يرى في نفسه القوة مع الرحمة... فليتقدم . و سكت النسر العجوز و سكتت معه أيضا كل جماعات الطير.. ها هي ذي ساعة الجد قد حانت و جاءت لحظة الاختيار المخيفة التي لا فرار منها كان الله فى عون الطير إنها تفكر و تدبر و إنها لتمعن فى التفكير - و أى تفكير ! ان لبعض الطيور هنا حكمة تضاهى حكمة الملك و بعضها فى هذا الاجتماع ذو بطش شديد تماما كالملك لكن هذا الشرط الذى يبدو كالمستحيل الآن اجتماع القوة بالرحمة أنى لها منه ؟ ! طال الصمت كثيرا و تمدد و انتشر فوقهم كالضباب الكثيف .. فجأة قطعه النسر مستشار الملك ضاحكا

- ألا يثق واحد منكم فى نفسه

و خفق بجناحيه الضعيفتين الكبيرتين مرحا و مخلبيه مسرعا وعلى غير انتظار طار صقر و حط برجليه بجوار النسر الهرم تطلعت إليه كل الطيور تحدق فيه كان يقف معتدا[٧] بنفسه صغيرا فى حجمه

---

٦ فرط : تجاوز الحد حتى ضاع

٧ معتدا : فخورا

ومنقاره الصغير معقوف[٨] كخنجر حاد و عيناه الصغيرتان المستديرتان تلمعان فى شاحب[٩] الضياء بتحد و ذكاء

- أنا أيها المستشار الحكيم أطلب من كل الطيور مبايعتى

قالها خجلا و جادا ثم أطبق منقاره بعدها صامتا و قلبه يضطرب فى صدره خوفا

انتشرت فى التو همهمات بين الطيور أخذت تتعالى أسكتها الصقر الشاب بصوته الصارخ بعد أن هدأ خوفه قليلا

- يا معشر الطير أنصتوا لى ... أنتم قد حكمتم لى بقوتى و بأسى فهل منكم من معترض ؟

رد عليه البعض

- لا ننكر

صرخت العصافير و الحمائم و العنادل[١٠] تجمع صوتها فى صوت واحد هادر

- الرحمة تنقصكم يا معاشر الصقور

قال الصقر :

- العادل من كان رحيما و قد قيل « إذا أردت العدل فأقم الرحمة »

قاطعه غراب هرم .

- أنت صادق جدا فيما تقول و لكنى و أنا الغراب الهرم – أحب أن أذكرك بدرس قد علمتنيه الحياة فالقوة يا صقرنا العزيز قد تدفع

٨ معقوف : ملتو

٩ شاحب : الضوء ضعيف

١٠ العنادل : جمع عندليب و هو البلبل

بصاحبها إلى الغرور و الغرور أعاذك الله من شره هو آفة الحكام وغرورهم لا يدفع ثمنه و أسفا ! إلا الرعية[11] أرايت إلى الإنسان أنه يدعى أنه أعقل المخلوقات و أعظمها عقلا و أحكمها تدبيرا لكن أى ظلم فادح[12] و جسيم ما زال يعانيه البشر من ظلم حكامهم الذين وعدوا رعيتهم وعودا لا يوفون بها أبدا و الأسوأ لدى هذه المخلوقات العاقلة افتراء و كذبا أن من بينها من يستمرى الظلم و ينادى بظالمه حاكما أبديا و كأنهم بهذا الاختيار العجيب قد اختاروا العدل كله و الرحمة كلها ... أتدرى لماذا ؟ . إنهم اختاروه ليختبئوا تحت مظلته و ليسوموا[13] رعيتهم سوء العذاب و سلنى أنا أيها الصقر الشاب فأنا أعيش بين تلك المخلوقات الإنسية و كم عانينا من حربهم لنا مثلما يعانون هم من حكامهم الظالمين

ابتسم الصقر و صفق بجناحيه على جسده الصغير مرتين .

- صدقت أيها الغراب الحكيم ... أنا لا أعترض على كلماتك ... فأنت قلت الحق و إنى لك من الشاكرين فقط إذا سمحتم – أعطونى فرصة – لأبرهن لكم كيف يكون العدل الرحيم بينكم أما إذا لم أفلح فى أن أكون ما تريدون و ما تحبون فلكم أن تخلعونى أو حتى تقتلونى و اعلموا بعد ذلك منى ( .... أن الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له و القوى منكم ضعيف حتى آخذ الحق منه )[14] فقط امنحونى فرصة و أنا أمنحكم عدلا و أمانا أما قوتى فسأدلكم عليها حالا إذا ما شرفنى جمعكم بالاختيار

و سكت الصقر الشاب قليلا و ابتلع ريقه و نظر إلى النسر الذهبى

١١ الرعية : افراد الشعب

١٢ فادح : ثقيل

١٣ سام : ارغم على الذل

١٤ من خطبة لابى بكر الصديق حين توليه الخلافة

العجـوز مستشـار الملـك و كأنـه بـه يسـتغيث كان النـسر الهـرم واقفـا و رأسـه الضخـم منكسـا إلى الأرض فى إنصـات رفـع رأسـه و جـال[١٥] ببـصره الضعيـف بـين الطيـور

- الـرأى يـا بنـى كـما تـرى .. ليـس رأيـى .. لقـد تعودنـا فى مملكـة الطـير و أنـت خـير العارفـين أن كل قـرار يصـدر لابـد أن يصـدر عنـا جماعـة .... أمـا الـذى أسـتطيعه لـك حقـا – و هـذا حقـى ... فهـو أن أطـرح رجـاءك عـلى عمـوم الطـير رجـاء كرجائـك ... أرجـو أن يكلـل منهـم بالقبـول و يوفقـك اللـه فيـما تريـد ثـم رفـع صوتـه .

- الأمـر موكـول إليكـم ... يـا كل وفـود[١٦] الطـير. إن الصقـر لا يريـد أن يكـون فيكـم حاكـما إلا بدليـل .. فهـل تقبلـون منـه هـذا الدليـل ؟

صمتـت الطيـور قليـلا . ارتفعـت همهمـة تصاعـدت بعـد قليـل إلى هتـاف مسـموع

- نعم نقبل

و عندئـذ ارتجـت الأرض بهتـاف ثقيـل ... اختلـط فيـه الصـوت الرفيـع بالصـوت الغليـظ :

- نقبل و نطالب بالدليل ... نقبل و نطالب بالدليل

٢.الدليل

اسـتيقظت شـمس الصبـاح مـن رقدتهـا الليليـة الأبديـة .. أخـذت تتسـلق أسـوار الأفـق الشرقـى و وجههـا الأصفـر المسـتدير يطـل عـلى الجبـال مدهوشـا لـكل تلـك الأطيـار المختلـف أنواعهـا و ألوانهـا فى هـذه اللحظـات . قـال الصقـر فى ثقـة و اعتـزاز

١٥ جال : ادار بصره حواليه

١٦ وفود : جماعة

- انظروا أيها الأصدقاء .. ألم يكن مليكنا ملك عموم الطير و أرجاء الأرض يسكن قمة هذا الجبل الشاهق

اشرأبت[١٧] الطيور برؤوسها تنظر قمة الجبل الجليل الضاربة برأسها فى بطن الفضاء الرحيب ... كان الجبل هائلا قائما يرقد على صدر الأرض منذ الأزل مهيبا عتيا[١٨] و رأسه الشماء تشمخ بعيدا فى الفضاء بينما كانت سيول الأشعة الذهبية تغسل رأسه الوقورة من عتمة الفجر الرمادية

- يا له من عرش عظيم لملك عظيم

قالتها جماعات الطير جميعا فى دهشة و تحسر .

قال الصقر مبتسما :

- فى ذلك المكان الشاهق تربع عرش مليكنا الراحل زمنا طويلا

و سكت قليلا و نظر محدقا إلى جماعات الطير

- أما أنا – أيها الأصدقاء الأعزاء – فسيكون مقامى هناك فوق هامات السحب

و نظر إلى أعلى و قد تابعته جماعات الطير تنظر معه . كانت هناك فى هذه الأثناء سحابات هائلات كالأفيال تتمطى بجسدها البخارى الداكن فى فراغ السماء و قد تلونت حواشيها[١٩] بلون وردى جميل .

- أمامكم و فوق أبصاركم سأعرج[٢٠] الآن و سوف تشهدون أن

١٧ اشرأبت : مطت رقابها لتنظر

١٨ عتيا: جبارا

١٩ الحواشى : الاطراف المظلمة

٢٠ العروج : الصعود

اختياركـم لى ملـكا عليكـم لم يكـن - تاللـه - عبثـا

قال النسر الهرم مستشار الملك فى تعجب :

- نحـن نعـرف عنكـم أيهـا الصقـور أنكـم أعـلى الطيـور طيرانـا و أن بصركـم الحـاد يفـوق بـصر جميـع الطـير ... تلـك حقيقـة نعرفهـا و لا نغمـض العـين عنهـا و لكنـى يـا بنـى عـلى طـول مـا عمـرت و عشـت لم أرى - و صدقنـى - طـيرا أى طـير يحلـق فى طيرانـه أعـلى مـما تحملـه جناحـاه كـما لم تشـهد عينـاى قـط طـيرا ارتقـى فى طيرانـه مرقـى السـحاب

رد الصقر فى ثقة و كبرياء :

- سترى يا مستشار الملك . سترى . فقط اصبر ....

ثم ضربه بجناحه ، ضربة رقيقة فى مداعبة مرحة ... و قال مبتسما :

- و لا تجادل كثيرا فسأجعل منك مستشارى الحكيم أيضا .

و رفع صوته هادرا إلى حد الصراخ .

- سـترون أنى الجديـر بكـم ، و هـذه السـحائب منـذ اليـوم هـى موئـلى[٢١] و سـفينتى و بيتـى سـأجعلكم تفخـرون بى مـا حييتـم و الآن لا أريـد ضيـاع وقتكـم الثمـين و هاكـم دليـلى الأول

و فـرد جناحيـه مسرعـا و انطلـق يشـق الـبرق حـماس مجنـون .. فأخـذت تهتـف :

- عاش الملك . عاش الملك.

و أسرعـت كثـير مـن الوفـود تطـير خلفـه فى تحيـة . تهتـف له وتشقشـق حواليه و تشـجعه .

- النصر لك يا مليك

٢١ الموئل : الملجا و المستقر

ابتسم الصقر و قال فى نفسه « إنهم يشجعوننى صبرا يا شعبى الحبيب ... صبرا فلن أخذلكم أبدا و ربى »

و زاد من طيرانه و أخذه جناحاه القويان إلى أعلى كأنه عفريت من الجن عات[٢٢] و الآن هو يشق أجواز الفضاء وحيدا لم تستطع بغاث [٢٣] الطير أن تتحمل معه مشقة الصعود و خذلتها بسرعة أجنحتها الرقيقة الضعيفة فعادت من حيث أتت تلهث و ترتغ و قلوبها الصغيرة تضطرب و تدق جدران صدورها فى عنف حتى الطيور الجارحة القوية التى تتفاخر بقوة أجنحتها و علو طيرانها كالحدأة لم تلهث إلا قليلا حتى عادت تلهث هى الأخرى و قد رضيت كلها أن ترقب الصقر المخيف من أماكنها فوق قمم الأشجار و فوق رؤوس التلال .. تنظر إليه فى عجب و غبطة و كان البعض يقول لزميله الذى يقف بجواره :

- إنه أعجوبة بين الطيور – يا للصقور من طيور .. لله ما أعظمها كان الصقر فى تلك اللحظات ما زال يتعالى حتى بدا فى فضاء السماء الواسعة كنقطة سوداء صغيرة كأن خيطا متينا يشدها دوما إلى أعلى. نظر الصقر إلى أسفل فرأى شوامخ الجبال قد تضاءلت و تساندت على بعضها كقطيع الأفيال أما الأشجار ذات السوق الضخمة فقد انبهمت[٢٤]ملامحها و تداخلت فبهت كملاءة خضراء تتغطى بها الجبال وتنفرش فوق السهول ... عندئذ أحس الصقر بإرهاق شديد و اضطراب قلبه يخفق فى جسده خفقانا لعينا أما جناحاه ... جناحاه القويان جدا فقد تثاقلا و أصبحا بطيئتين كأن شيئا ثقيلا حط عليهما ارتبك تنفسه و أضحت أنفاسه تخرج من صدره متحشرجة متمزقة و غامت عيناه و حدثته نفسه أن يعود فأمر لن يكلفه شيئا فما عليه إلا أن يقبض جناحيه و يدع نفسه فيهوى بجسده سريعا كما تهوى الأحجار من

٢٢ عات : جبار

٢٣ بغاث الطير: ضعاف الطير و هى ليست من الجوارح

٢٤ أنبهمت: غامت ولم تظهر

فـوق قلـل [٢٥]الجبـال حتـى إذا اقـترب مـن الأرض عـاد ففـرد جناحيـه وحينئذ يحـط عـلى أقـرب مـكان أو غصـن شـجرة فيسـتريح قليـلا أو حتـى ينـام

- لا .... لن أعود

و نظـر إلى الشـمس و هـى تسـتوى فـوق قمـة الأفـق صفـراء لامعـة فأحـس أنهـا تبتسـم لـه فهتـف بكلـمات متقطعـة أنـا آت إليـك يـا مليكـة السـماء ... آت ..

عندئـذ أحـس بـبرد يعـروه كأنـه الثلـج فـصرخ متألمـا ( يـا إلهـى ) .. كان الهـواء مخلخـلا ضعيفـا كأن الأرض قـد استنشـقت كل هـواء الدنيـا فلـم يعـد فى هـذا الكـون الرحيـب هـواء

كانـت السـحب الثقـال تتطلـع إليـه مـن أماكنهـا مدهوشـة و كأنهـا تنتظـر مقدمـه لكنهـا لا تلبـث أن تسـير فى صمـت متهاويـة فى فضائهـا اللانهـائى كـما لـو كانـت قـد ملـت الإنتظـار ... فجـأة اجتاحـت عينيـه عتمـة ثقيلـة ... فلـم يعـد يـرى شـيئا بعـد ذلـك و باغتـه إحسـاس كوميـض أنـه واقـع فى يـد خفيـة قاتلـة و فى ذهـول تـام ابتلعـه هـذا الـشىء الغامـض و المخيـف ففقـد الوعـى تمامـا و لم يعـد شـيئا و تفجـرت الدمـاء تسـيل مـن أنحـاء جسـده توقـف القلـب المضطـرب عـن خفقانـه و هكـذا أمكـن لوفـود الطـير أن تبـصر فى هـذه اللحظـات التعيسـة بـشىء يهـوى مـن حالـق سريعـا خاطفـا كشـهاب محـترق و هـوى المسـكين فـوق تـل بعيـد فأسرعـت كلهـا بالطـيران إليـه فـإذا هـو الصقـر ارتطـم جسـده الصغـير بالتـل القـاسى فتهشـمت رأسـه و انكـسر نصـف منقـاره و قـد تغطـى بـدم أحمر قـان، راح يسـيل حواليـه سـائلا بطيئـا متخـثرا متجمـدا حـول جثتـه بمسـافة قصـيرة

- يا له من منظر بشع

---

٢٥ قلل: قمم

قالتها كل الطيور و هى تتحلق حول جثته المهشمة .

- يـا لـه مـن صقـر أحمـق مغـرور لم يعـرف إمكانياتـه فـكان المـوت جـزاء وفاقـا لغـروره و كبريائـه

قالتها طيور عجوزة

و حينئذ ارتجفت فوق التل أصوات زاعقة متحمسة

- عاش الملك العظيم

نظرت الطيور الهرمة فرأت شباب الطير يهتف

- الخلود للصقر العظيم

تضاحكت الطيور المسنة و قالت و هى تنظر إلى شباب الطير :

- كيف تخلطون العظمة بالغرور ؟ !

رد طير شاب و هتف فى صوت سمعته كل الطيور

- عظيم لأنه حاول و الذى يحاول عظيم مع ذلك و إن أخفق

قال طير آخر يقف قريبا منهما :

- لسـتما أبـدا بالمخطئـين ... بـل قـولا – إن شـئتما اعـرف إمكاناتـك أولا ثـم حـاول و لا يهـم أن تصـل أو لا تصـل فالوصـول بيـد اللـه ففـى المحاولـة شرف و عظمـة مهـما كانـت أليـس كذلـك يـا عزيـزى

**- تمت -**

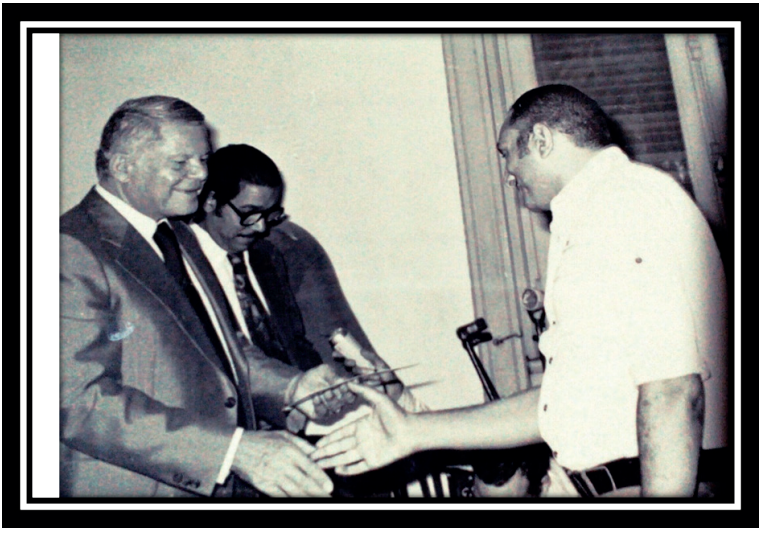

نادى القصة

حفل توزيع الجوائز - الأربعاء ٢٦ أكتوبر ١٩٧٧

الجائزة العاشرة

من الشمال : يوسف السباعى وزير الثقافة
يوسف الشارونى (قصاص)
أنا أمد يدى لصافحة الوزير وأتسلم ظرف الجائزة

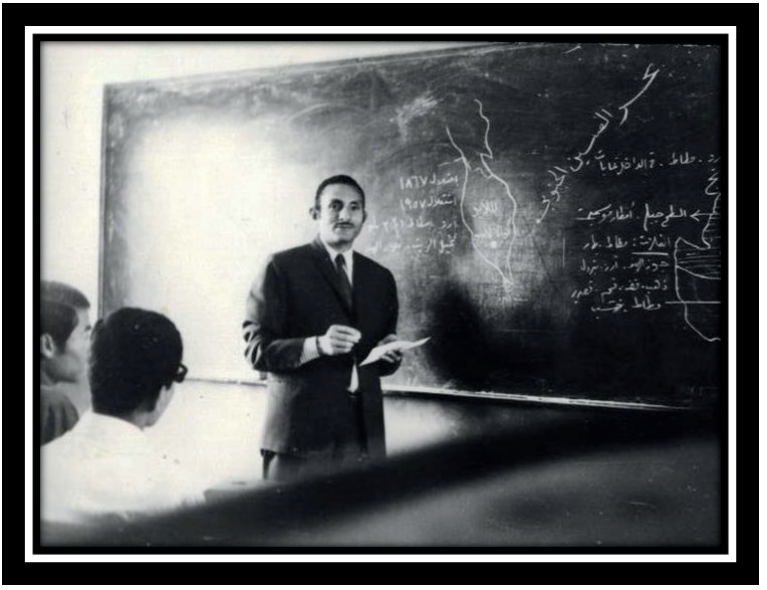

تلاميذى و تلميذاتى

صباح خير لكم جميعا و يوم تبدأون فيه أملاً و عام جديد ظلتكم فروع أيامه بالنجاح و التوفيق ها أنتم قد عدتم ... و عدنا .... و مضى عام و أقبل عام و هذه الساعة و ذالكم اليوم هو البداية الحقيقية لعام - نرجوه لنا و لكم - عام سعد و توفيق وأمل و مستقبل لغد مشرق

**بنها فى ١٩٦٦/٩/٢١ م**

نبذة عن الكـــــــــاتب

الاسم : أحمد دسوقى مرسى

المنشـأ : مــن مواليــد محافظــة القليوبيــة بمدينــة بنهــا

تخـرج مـن كليـة الآداب جامعـة القاهـرة قسـم جغرافيـا

اشـتغل مـدرس مـواد اجتماعيـة لمـادة الجغرافيـا فى عـدة محافظـات و عـين موجـه عـام مـواد اجتماعيـة بـإدارة مـصر الجديـدة التعليميـة

صـدر لـه قبـل ذلـك مجموعـة قصصيـة باسـم تائهـان مـن سلسـلة إشراقـات أدبيـة بتاريـخ ١٥ مايـو سـنة ١٩٩٤ تصـدر نصـف شـهرية العـدد السـابع و السـتون بعد المائة بدراسـة فتحـى سـلامة و تعليـق الناقـد عبـد العـال الحمامـصى فى برنامـج كتابـات جديـدة مـن إعـداد و تقديـم نجـوى وهبـى بالإذاعـة المصريـة « الراديـو»

حصـل عـلى جائـزة مـن نـادى القصـة مـن وزيـر الثقافـة الدكتـور يوسـف السـباعى عـن قصـة تائهـان عـام ١٩٧٧ م

تغيـب عـن السـاحة الأدبيـة لظـروف الدولـة الراهنـة و طبعـا و لا يخفـى عـلى البعـض الواسـطة المنتـشرة فى مـصر كمـرض السرطـان و لكـن كان مسـتمرا فى الكتابـة و كان يقـول لـو كان هنـاك أمـل ١٪ لابـد أن نبـذل مجهـودا ٩٩٪ و تـوفى و هـو يحلـم بخـروج قصصـه للنـور و لا تمـوت مثلـه ولكـن هيهـات

لكـن تظهـر بارقـة أمـل و نـور لأن الأديـب أنجـب ثـلاث زهـرات هـن نـور حياتـه و سـوف يحققـن حلـم والدهـن بنـشر قصصـه و خروجهـا للنـور لأن الذكـرى للإنسـان عمـر ثـانٍ

و أخيرا من يسكن القلب كيف القلب ينساه

وداعا يا أبى الغالى

# الفهرس


اهداء الكاتب لأمه..... ٥
الكاتب ينعى نفسه..... ٧
اهداء للكاتب من بناته..... ٩
مقدمة..... ١١
حكاية عنايات المحمودى..... ٢٣
أمـــــى..... ٣٣
الهـــــروب..... ٦٥
عودة عبد السميع افندى..... ٨٩
البـــــدلة..... ١٠١
كـــــوب من الشـــــاى..... ١١١
الصقر العظيم..... ١١٧
الملحقات..... ١٢٨
نبذة عن الكاتب..... ١٣١